مُذكرات طبيبٍ في إفريقيا

د. حسن عشماوي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1441هـ / 2020م

توزيع مؤسسة الأهرام

الإدارة العامة للتوزيع

ت: 27704213 – 27703195

إهداء

إلى مَن علَّمني حبَّ العطاء، وحبَّ الإيثار على النَّفس، حتى ولو كنتُ لا أملِك له إلَّا القليل، رحمه الله؛ والدي.

وإلى مَن علَّمتني أصولَ ديني، وكيف أؤدِّي فروضي إلى الله، بل وكيف أحِبُّ أن أكون عبدًا لله، رحمها الله؛ والدتي.

اللهمَّ ربِّ ارحَمْهما كما ربَّياني صغيرًا.

وإلى مَن كانت لي عونًا وداعمًا في كلِّ ما أقوم به من أعمالٍ لخدمة ديني، وفي إخراج هذا العمل المتواضع؛ إلى زوجتي العزيزة.

د. حسن عشماوي

مقدمة سعادة
السفيــر رخــا حســن

لقد أخذني د. حسن عشماوي في رحلة حياته في كتابه مذكرات طبيب في إفريقيا، بأسلوب بسيط، هو السهل الممتنع؛ حيث يتضمن في ثناياه العديد من القيم والمعاني السامية، والتجارب العملية، وما فيها من يسر وعسرٍ لم يكن يعرف له سببًا، سواء في عسر حال دون تحقيق رغبة أو أمل، أو يسر في تحقيق ما لم يكن يتوقعه. ووراء ذلك كله شخصية صاحب المذكرات وما تحمله من سلام داخلي مع النفس ورثه عن والديه، واتخذه منهجًا لحياته، وأسلوبًا في التعامل مع كل الناس، وكل المواقف، متسلحًا بعزيمة المؤمن بنبل أهدافه، وتمتعه بقدرة على جمع الناس من حوله على كلّ ما يفيدهم.

وقد التقيت مع د. حسن عشماوي أثناء عملي سفيرًا لمصر في زيمبابوي ما بين 1997 – 2001م، ولاحظت منذ البداية أنه من الأشخاص المتميزين بين الأطباء المصريين الموفدين إلى زيمبابوي. وكان سكنه وعيادته ونشاطه في مدينة بولاوايو العاصمة الثانية وموطن الصناعات الأساسية في زيمبابوي، وتقع قرب الحدود مع جنوب إفريقيا، ويقام فيها معرض صناعي دولي كل عام، كانت مصر تشارك فيه، وكان حضوري افتتاح المعرض والجناح المصري فرصة لترتيب لقاء مع الجالية المصرية في بولاوايو، وكان د. عشماوي يتولى ترتيب اللقاء، ويتمسك بأن

نزوره في بيته.

ولطالما حدثني وزير داخلية زيمبابوي وقتئذ -كان سكرتيراً للزعيم الزيمبابوي جوشوا نكومو- ومن أهالي بولاوايو، عن الدكتور حسن عشماوي، ودوره المهم في علاج كبار الشخصيات في بولاوايو والمناطق المجاورة، وكذلك علاج للمواطنين البسطاء.

وربما دون أن يعرف الدكتور حسن عشماوي؛ فقد حقق باستقراره في زيمبابوي، بعد انتهاء مدة إيفاده، أحد الأهداف الرئيسية التي كان يعمل عليها دائماً وزير الدولة للشؤون الخارجية المصرية د. بطرس غالي، ويعتبرها من المهام الرئيسية للصندوق المصري للمعونة الفنية لإفريقيا (حالياً الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية) بوزارة الخارجية، ألا وهي أن الموفدين بعد انتهاء مدة السنوات الأربعة لبعثتهم، من الأفضل أن يستمروا في الدولة الموفدين إليها للاستمرار في تقديم خبراتهم وعلمهم بعد تأقلمهم مع ظروفها وعادات شعبها، وليكونوا عاملاً مشجعاً لأقرانهم للحاق بهم؛ سواء في نفس تخصصاتهم أو غيرها، للإسهام في عملية التنمية الشاملة في الدول الإفريقية الشقيقة، وتكوين جاليات مصرية لربط المصالح المشتركة مع هذه الدول.

ولكن لم يحقق معظم الموفدين ما كان يطمح إليه د. غالي؛ فإما أنهم هاجروا إلى دول أخرى خارج القارة السمراء، أو عادوا إلى أرض الوطن مصر. ويبقى الدكتور حسن عشماوي نموذجاً عملياً ناجحاً للربط بين شعب صديق في زيمبابوي وشعب مصر، والمساهمة المتنوعة في التنمية البشرية، وإقامة جمعيات علاجية واجتماعية بالتعاون مع زملائه من المصريين وغير المصريين والراغبين في التعاون من أهالي زيمبابوي كل ذلك بهدف توفير العلاج والرعاية الصحية

والاجتماعية للبسطاء من شعب زيمبابوي.

ويتميز شعب زيمبابوي بارتفاع نسبة المتعلمين، ومن يجيدون القراءة والكتابة؛ حيث تصل نسبتهم إلى نحو 84 بالمئة، وهي من أعلى النسب في القارة الإفريقية. ويرجع ذلك إلى أن الأقلية البيضاء التي استوطنت زيمبابوي من أجل البقاء الدائم فيها، كانت في حاجة إلى عمالة ماهرة وصغار موظفين من الزيمبابويين لمساعدتهم في كافة مجالات الإدارة والزراعة والصناعة والخدمات، ومن ثم اهتموا بتعليمهم وتوظيفهم، ورغم ممارسة تفرقة عنصرية معهم؛ إلا أنها لم تكن بنفس حدة وقسوة التفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا. كما بدأ التفكير في إعداد زيمبابوي وزامبيا ومالاوي وسوازيلاند للاستقلال منذ عام 1953م. وقد تطلب ذلك إعداد كوادر للقيادة من الزيمبابويين في مجالات التعليم والوظائف العامة إلى جانب العمالة الفنية.

كما أن الرئيس روبرت موجابي، الذي سبق أن عمل بالتدريس أثناء نفيه في غانا، كان متأثرًا بتجربة الزعيم الكوبي كاسترو في التعليم الأساسي ومحو أمية الشعب الكوبي، وبتوليه السلطة بعد استقلال زيمبابوي في أبريل عام 1980م، توسع في إنشاء مدارس الفصل الواحد بأقل الإمكانيات في أصغر القرى والأماكن البعيدة لتوفير التعليم الأساسي للفلاحين والفقراء. كل هذه العوامل جعلت من شعب زيمبابوي، كما وصفهم د. حسن عشماوي، شعباً مهذباً مبتسماً حتى في أصعب الظروف، يحسن التعامل مع الآخرين، ويهتم بمظهره مهما كان رقيق الحال؛ حتى لا يبدو أقل من نظرائه من الأقلية البيضاء.

إن الدكتور حسن عشماوي اختزن في ذاكرته، وسلوكياته، كل ما تعلمه وعايشه، من والديه، من خلق رفيع، والإحساس بكلّ الناس، خاصةً المحتاجين

والضعفاء، وما عايشه من استضافة الأقارب وأبنائهم والمعارف في أسرته أثناء دراستهم في جامعة القاهرة القريبة من بيت أسرته، وترسخ في حياته أن البيت المفتوح وكرم الضيافة واجب إنساني نحو الجميع، وحمل هذا التراث الاجتماعي والثقافي الجميل ليكون رفيقه في رحلة حياته كلها، وفي تجربته في زيمبابوي، تسانده وتساعده في ذلك كله زوجة فاضلة على نفس الدرب والتي أقامت بيتهما على المحبة والتعاون في كلّ الظروف.

إنه كتابٌ جدير بأن يطلع عليه كل طبيب، وكلّ من ينوي أو يرغب في أن يعمل في بلد إفريقي شقيق، وكلّ من يؤمن أن أفضل وسيلة لخدمة بسطاء الناس العمل الجماعي؛ لأنه واجبٌ على من يقدر عليه وحقّ مشروع لكلّ من يستحقه.

والله الموفق دائمًا.

السفير / رخا أحمد حسن

سفير مصر الأسبق في زيمبابوي

مساعد وزير الخارجية الأسبق.

مصر -الجيزة في 17/ 8/ 2020م

مقدمة المؤلف

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد ترددت كثيرًا في كتابة هذه المذكرات، وانتابتني حالة من الخجل، وخاصةً بعد الانتهاء من كتابة سلسلة **"خَيْر الأنام وصَحْبه الكرام"** بأجزائها الأربعة. وقلت في نفسي: بعد كتابة هذه السيرة العطرة لخير الأنام وسيرة هذه الكوكبة من العظماء من الصحب الكرام، أكتب عن سيرة "حسن عشماوي"؟

كان هذا هو مبعث خجلي وترددي؛ فقررت أن أترك هذه الفكرة؛ إلَّا أن كثيرًا من الأصدقاء والمقربين طلبوا مني وبإلحاح أن أكتب هذه المذكرات؛ لعلها تكون مثالاً ودافعًا لكثير من شبابنا فيستفيدوا من تجربتنا، وما تم فيها من إنجازات متواضعة، فيكون النفع والخير على الجميع.

فعدلت عن فكرة رفض الكتابة، وبدأت في سرد هذه المذكرات.

فتجربتي في إفريقيا، والتي استمرت نحو ثلاثة عقود ومازالت مستمرة حتى وقت كتابة هذه السطور، فيها الكثير من التحديات والإنجازات.

فكثير من شبابنا قد لا يعرف الكثير عن هذه القارة، وعن مناحي الحياة فيها؛ فغير أنها امتدادنا الطبيعي جغرافيًّا؛ ففيها الكثير من الخيرات والثروات التي لم

تُستثمَر بعدُ.

فإن سألتني عن أهم وأعظم شيء فُزتُ به من تواجدي في إفريقيا، أقول وبلا تردد: شعبها، وخاصةً في دولة زيمبابوي التي عشتُ فيها وقضيتُ أجمل أيام حياتي. فهم شعبٌ جميلٌ، طيب، مثابر، يتحمل الصعاب، ويتعايش بشكل جميل مع التحديات التي تواجهه. كل ذلك مع ابتسامةٍ عريضةٍ على الوجوه، نابعة من القلوب لا تفارقهم أبدًا. حتى أني أطلقت عليهم: "الشعب المبتسم".

لقد كان للزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" سواء اتفقت الناس أو اختلفت عليه، فقد كانت لديه رؤية وبُعد نظر في التواجد المصري في إفريقيا، وهو ما أُهمل في السنوات الماضية، وكان له العديد من الآثار السلبية. إلا أننا بدأنا في تدارك ذلك الآن، وأرى هناك خطوات كثيرة ومُثمرة في تعميق التعاون وزيادة التواجد المصري في إفريقيا.

ففي الصفحات القادمة أعزائي سأحاول -بإذن الله- سرد تجربتي المتواضعة في إفريقيا؛ لعلها تكون تجربة مفيدة لكل من يقرؤها، وخاصة لأبنائنا شباب هذه الأمة ومستقبلها.

د. حسن عشماوي

من هنا كانت البداية

لم أكن أنتوي التطرُّق إلى حياتي الخاصَّة، وكيف نشأتُ؟ وأين بدأتْ مسيرة حياتي؟ إلا أني وجدتُ أنها مفيدة لمعرفة الخلفية التي فيها بدأتُ، ومنها نشأتُ وترعرعتُ، وما كان لهذه النشأة من أثر كبير فيما قمت به من أعمال فيما بعدُ.

فنحن ننتمي إلى الطبقة المتوسطة الدُّنيا، وإن كنت لا أدري على أي أساس يتم تقسيم البشر إلى طبقات؟ هل هو المستوى المادي، وكم تملك من أموال وأطيان؟ أم هو المستوى الأخلاقي، وكم تملك من قِيَمٍ نبيلة وأخلاق راقية؟

فإنْ كانت الأولى فنحن -كما أسلفت- ننتمي إلى الطبقة المتوسطة الدُّنيا التي هي أقرب إلى الفقر.

أما إن كانت الثانية، فنحن وبلا فخر من الطبقة العليا، أو قل الطبقة السامية.

هكذا عَلمَني أبي

والدي -رحمه الله- كان رجلاً بسيطًا، موظف في الحكومة، وقد يُصنَّف من محدودي الدخل، إلا أن هذا الدخل المحدود كان فيه بركةٌ وخيرٌ كثيرٌ. فرغم قلَّة الدخل وتواضع الموارد إلا أن أعماله وتصرفاته لا تدُلّ على ذلك أبدًا. فقد كان يتعامل مع كلّ مَن حوله -وخاصة الفقراء والمحتاجين- كأغنى أغنياء القوم، فلم يَرُدَّ سائلاً قط، ولم يكن يتردد ولو للحظة واحدة في تقديم كل ما يستطيع من عونٍ ومساعدةٍ لمن يطلب منه ذلك. ليس ذلك فحسب، فقد يستدين ليقضي حاجة بعضهم ودون أن يُشعره بشيء من ذلك.

وفي هذا السياق أودّ أن أسوق إليكم قصة محفورة في ذهني وفي أعماق وجداني؛ فقد كنت شاهد عيان عليها. فهي تُلخِّص أيّ نوع من البشر كان هذا الرجل.

ففي يوم من الأيام أتت إلينا إحدى الجارات تهرول حاملة في يدها المرتعشة "روشتة"، وقالت وهي تبكي لوالدي: أريد أن أصرف هذه الروشتة وليس معي ما أستطيع أن أشتري به الدواء، وكان طفلها في حالة مرضية خطيرة. فما كان من والدي -رحمه الله- إلا أن أخذ منها الروشتة، وطلب مني أن أصطحبه -وقد كنت في العاشرة من عمري-، وذهب مسرعًا يكاد يركض في مشيته حتى وصلنا إلى صيدلية هو يعرف صاحبها معرفة شخصية، فقال له: من فضلك: اصرف لي

هذه الروشتة، وسوف أسدِّد ثمنها فيما بعدُ.

وأخذ الأدوية وعاد بها إلى هذه الجارة الحزينة وأعطاها إياها. ولا أستطيع أن أصف لكم كم كانت فرحة وسعادة تلك السيدة، والتي كانت حياة طفلها في خطر.

هكذا كان يُعطي كل ما يملك، وحتى وإن كان لا يملك ما يُعطيه؛ فما زال العطاء مستمرًّا. فقد كان من الممكن أن يعتذر لتلك الجارة بحجة أنه لا يملك شيئًا يساعدها به، وهذا هو حاله بالفعل، لكنه لم يكن ليَرُدَّ سائلاً؛ لأنه تعوَّد على العطاء، والعطاء فقط.

ترسَّخت هذه الواقعة في ذاكرتي ووجداني، والتي لم تكن الوحيدة من نوعها فمثلها الكثير والكثير.

وتعلمت الدرس وهو: أن الإنسان لا يعيش لنفسه أبدًا. ولعل والدي -رحمه الله- كان له حاجة في نفسه من اصطحابي معه في ذلك اليوم لشراء الدواء لتلك الجارة؛ فلعله كان يريدني أن أتعلم منه شيئًا. رغم أنه لم يقل لي كلمة واحدة، ولكنَّ الدرس العملي الذي أعطاني إياه كان عميق الأثر شديد الوقع في نفسي.

كانت هذه نُبذة عن هذا الرجل البسيط، المحدود الدَّخْل، الموجود دائمًا في عون من حوله من أقارب وجيران. يؤثرهم على نفسه، يشاركهم أحزانهم وأفراحهم، وخاصةً الأحزان، فكثيرًا ما كان يقول لي: إن الإنسان المكلوم أكثرُ حاجةً للمساعدة والمساندة من الإنسان السعيد الفرحان. فلو كان هناك حالة

وفاة أو ما شابه ذلك يكون هو أول الموجودين للعزاء وعمل كل ما يلزم في مثل هذه الظروف. وكان يُصِرُّ دائمًا على اصطحابي معه، خاصة في مثل تلك المناسبات.

فرحمة الله عليك والدي العزيز، وكتب الله لك كل خير فعلته في ميزان حسناتك، وجعلك الله -سبحانه وتعالى- ممن قال فيهم: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: 9].

رحمه الله رحمةً واسعةً.

هكذا علمَتني أمي

أما والدتي –رحمها الله – فكانت صورة أصيلة من الأم المصرية بكل تفاصيلها ودقائقها، فهي التي تعيش وتتعايش مع كل الظروف والأحوال، فتقوم بأعمال المنزل وخدمة الجميع في سعادةٍ وبِشْرٍ، فلم أذكر لها يومًا أنها كانت تشتكي من ضيق الحال أو قلة المال أو كثرة الأعمال.

وقد تعلمتُ منها الكثيرَ والكثيرَ. فلن أكون مُبالِغًا إذا قلت: إن أكثر من 90٪ من أساسيات ديني تعلمته من أمي. فعلى يدها تعلمت كيف أقرأ فاتحة الكتاب وبعض قصار السور من القرآن الكريم، وتعلمتُ منها كيف أتوضأ، وكيف أُصلِّي، وأحببتُ على يديها أصول الدين البسيط البعيد عن العصبية والتعصب، وعلمتني حُبّ كل من حولي مهما اختلفت الأهواء والانتماءات والديانات.

فرغم أنها لم تكن تقرأ ولا تكتب؛ إلا أنها كانت مدرسة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ؛ فكانت وبحق كما قال الشاعر(حافظ إبراهيم):

الأم مدرسة إذا أعددتها * أعددت شعبًا طيب الأعراق**

وكما كان حال والدي وحبُّه للعطاء، كانت والدتي تحبُّ الجميعَ، وتخدم الكلَّ، وتعمل كل جهدها على راحة كلّ من حولها. فلقد كان هناك دائمًا مَن يقطن معنا في شقتنا الصغيرة في بين السرايات من أبناء العم أو العمة أو أبناء الخال أو

الخالة من هم يدرسون بجامعة القاهرة؛ نظرًا لقربها من منزلنا.

فكانت تهتمّ بهم جميعًا، وتقدّم لهم الخدمات التي تقدّمها الأم لأبنائها. فتعرف مواعيد محاضرات كلّ منهم، لتوقظه حتى يكون مستعدًّا للخروج والذهاب إلى محاضراته في الميعاد. وكنا جميعًا نتلقَّى نفس الخدمة ونفس المعاملة؛ فلا تستطيع أن تُفرِّق أيّهم ابنها، وأيهم ابن عم أو ابن خال أولادها، لدرجة أنها كانت لا تقول ابن عمك أو ابن عمتك، ولكنها تقول: أخوك.

أما عن الجيران وعلاقتنا بهم، فحَدِّث ولا حَرَج. فقد كانت علاقات نموذجية، تكافلية، تكاملية، نفتقر إلى كثير من مفرداتها هذه الأيام. وكان هذا التكامل والتكافل يظهر وبصورة عفوية في كثيرٍ من المواقف، نذكر منها:

***

أن والدتي -رحمها الله- لما كانت تصنع طعامًا وخاصةً ما تُجيد طَهْيَه وتتميز به كالبصارة والأرز باللبن والكشري وغيرها، كان لا بُدَّ علينا أن نقوم بتوزيع أطباق منها على جميع الجيران. وفي المقابل كان الباب يُطْرَق فنفتح لنجد طبقًا من هذا أو ذاك الطعام مُرسَل إلينا من أحد الجيران.

***

فلا زلت أذكر "عم محمد" جارنا الطيّب الكريم، والذي كانت طبيعة عمله تقتضي أن يسافر خارج القاهرة خاصةً إلى أسوان، وعند عودته من سفره نجده يَطْرُق بابنا أولاً، وقبل أن يدخل بيته؛ ليعطينا حصتنا من الفول السوداني والبلح

قبل أن يدخل على أولاده.

***

هكذا أعزائي كانت الحياة، وكانت المشاركة الوجدانية، وأن الجميع واحد في وقت الكرب ووقت الفرح. وأن ما تملك ليس لك وحدك، ولكن لجارك فيه حقّ، ولأهلك وأقربائك فيه حق. فزَرَعَتْ كُلَّ هذه المعاني السامية والأخلاق الراقية بداخلي وفي نفسي بشكل تلقائي وعفوي؛ رحمها الله رحمة واسعة.

وليس لمن رامَ الكواكبَ مضجعُ

رغم تواضع أحوالنا المادية؛ إلا أن والدي -رحمه الله- كان حريصًا كل الحرص على تشجيعي والدفع بي دفعًا للتفوق. والحمد لله؛ كان له ما أراد.

وقد كنتُ حريصًا أيضًا على العمل والجهد لتحقيق هذا الحلم، فبحمد الله كنتُ متفوقًا في جميع مراحل التعليم من مدرسة بين السرايات الابتدائية إلى الأورمان الإعدادية، ومنها إلى الأورمان الثانوية.

والحمد لله كنت حريصًا على التفوق، وكان حُلمي كبيرًا؛ وهو العلو والحصول على أعلى المواقع. وأذكر أنه كلما غلبني النوم كنت أتذكر قول الشاعر (علي الجارم):

صحا الشرق وانجاب الكَرَى عن عيونه ** وليس لمن رام الكواكب مضجع

حتى أني من شدة اقتناعي وولعي بهذا؛ قررت أن أكتب هذا البيت وبخط عريض على ورقة وعلقتها على الحائط أمامي، فكان كلما غلبني النعاس نظرتُ إليها؛ فكانت تزيدني إصرارًا على مواصلة العمل والسهر.

وبفضل الله حصلت في الثانوية العامة على 95٪ وكان ذلك مجموعًا عاليًا جدًّا في تلك الأيام(1975)، وتحققت الأمنية والتحقت بكلية طب القصر العيني لتسيل دموع والدي ووالدتي فرحًا بهذا الإنجاز. ولكنَّ القدر لم يُمْهل والدي

وتُوفي قبل تخرجي بعام.

وعلى نفس النهج من العمل والجهد كانت سنوات الدراسة في الطب، وتخرجت لأصبح طبيبًا. ولتبدأ مرحلة أخرى في حياتي، وهي الحياة العملية وتحدياتها.

بداية الحياة العملية

الحلم الأمريكي

لقد كان حلمي وحلم معظم أبناء جيلي هو السفر إلى أمريكا لاستكمال الدراسة والعمل بها، ومن ثَمَّ الهجرة إليها، وبدأت بالفعل الاستعداد الجاد لتحقيق هذا الحلم. وكانت البداية هو دخول امتحان المعادلة، وكانت تُسمَّى Visa Qualifying Examination -VQE.

وهو اختبار يُجرى من عدة أجزاء، وكان أول هذه الأجزاء يُجرَى في القاهرة مقابل مصاريف تُدفَع إليهم. وكانت المراسلات بيني وبينهم تسير بشكل منتظم والاستعداد للامتحانات والمذاكرة تجري على قدمٍ وساقٍ، فقد اشتريت الكتب الخاصة بهذا الامتحان وبدأت التحضير بكل جد واجتهاد.

شكرًا لساعي البريد

هذه عبارة كنا دائمًا نكتبها على ظهر المظروف الذي نرسله بالبريد؛ تقديرًا لجهد وعناء ساعي البريد في توصيل الخطابات، والتي كانت الوسيلة الوحيدة للتواصل والمُكاتبات بين الناس في تلك الفترة.

ولكني أذكرها هنا على سبيل الدُعابة؛ لأن ساعي البريد كان سببًا مباشرًا في قتل الحلم الأمريكي في مهده وقبل أن أخطو أي خطوة في سبيله، ولعل ذلك كان خيرًا.. فماذا حدث؟!

كانت المراسلات بيني وبين الأمريكان تسير بشكل منتظم وكل شيء أسأل عنه يصلني الرد عليه في وقت قصير، والأمور تسير على ما يُرام.

وفجأة انقطعت الاتصالات، ولم يصل إليَّ أيّ مُراسلات أو خطابات، فكنت أتوقع خطابًا يُفيد بميعاد الامتحان، يليه آخر بقيمة المصاريف وكيفية الدفع وهكذا..... ولا أدري هل كان ساعي البريد في وعكة صحية منعته من توصيل الخطابات، أو كسل أو تهاون في عمله أو غيرها من الأسباب.. لا أدري.

حتى كان اليوم الذي وصلني فيه **خمسة خطابات من أمريكا دفعة واحدة:**

الأول: يخبرني بميعاد ومكان الامتحان، ورقمي المسلسل.

الثاني: يخبرني بقيمة مصاريف الامتحانات، وطريقة الدفع، وآخر ميعاد يمكن خلاله دفع المصاريف.

الثالث: (إنذار أول) يخبرني بأني لم أدفع المصاريف حتى تاريخه، وإذا لم أدفع في موعد أقصاه... سيُلغَى طلبي للامتحان.

الرابع: (إنذار نهائي) يخبرني بأني لم أدفع المصاريف حتى تاريخه. وهذا إنذار نهائي في حالة عدم الدفع سيُلغَى تسجيلي.

الخامس: اعتذار ورفض لطلبي، وشطب اسمي من قوائم المتقدمين للامتحان.

وكانت الخطابات مؤرَّخة بتواريخ يفصل كل منهم عن الآخر أسبوعان،

ولكنهم وصلوا جميعًا في يوم واحد -كما أسلفت -.

وكان الحل الآخر هو السفر إلى أمريكا مباشرةً، وإجراء هذا الامتحان وما سيتلوه من امتحانات المعادلة هناك، ولكنَّ هذا الحل كان يحتاج إلى إيداع مبلغ من المال (حوالي عشرة آلاف دولار أمريكي) في حساب لي هناك.

ولكنَّ هذا الحل لم يكن لي إليه من سبيل.. فشكرًا لساعي البريد.

طبيبٌ في الأرياف

كانت هذه الأحداث كلها بعد مرحلة الامتياز وأثناء عملي في الأرياف (فترة التكليف) والتي كانت في محافظة الشرقية.

ولعلي أعرّج هنا إلى هذه الفترة، وتلك المحطة الهامة المهمة في رحلتي، والتي كان لي فيها الكثير والكثير من طيب الذكريات.

فأهل الشرقية -كما هو معلوم عنهم – "أهل كرم"، وقد لمست ذلك بنفسي، وأكاد أجزم أن ما يُقال عنهم من كرم أقل بكثير من الواقع الملموس.

فقد قضيت هناك حوالي ثمانية عشر شهرًا، ورغم قصر هذه المدة إلا أنها أثرت فيَّ تأثيرًا كبيرًا، فقد كانت أول تعاملي الحقيقي مع الحياة العملية، وكانت محطة مهمة ومؤثرة جدًّا في مسيرتي على جميع المستويات: المستوى الطبي، والإداري والإنساني.

وإليكم أحبائي ما تحمله ذاكرتي عن هذه الفترة من حياتي:

السماكين الغربية

بعد أن قضينا عدة أسابيع في الزقازيق "عاصمة محافظة الشرقية" للتدريب على أعمال الوحدات الصحية بالأرياف، تم توزيعنا على تلك الوحدات، وكان تكليفي في الوحدة الصحية بقرية "السماكين الغربية" في مركز الحسينية، وهو آخر

مركز في أطراف المحافظة.

والوحدة الصحية هناك هي وحدة مُجمعة بها خدمات شتَّى، ففيها مراقب للأغذية، ووحدة للبلهارسيا، ووحدة للملاريا في كل منهم مراقب وبعض المساعدين. وكذلك عدد من الإداريين والممرضات، فمُجمل العاملين حوالي ثلاثين فردًا. وتخدم تلك الوحدة حوالي عشرة آلاف نسمة موزعين بين القرية وما حولها من نجوع وعِذب صغيرة.

وكانت مهمتي هي رئاسة هذه الوحدة والمسؤولية الكاملة عن كل أفرادها، وأقسامها المختلفة، هذا في الشق الإداري، أما الشق المهني فكنت الطبيب المسؤول عن أهل هذه القرية وما حولها، هذا بالإضافة إلى عملي كطبيب شرعي، وطبيب صحة، مسؤول عن المواليد والوفيات، بالإضافة إلى تطعيم الأطفال وغيره مما يتعلق بصحة الإنسان في هذه القرية وما حولها. وهو ما يعني باختصار مُمثلاً لوزير الصحة في هذه القرية.

وكم كنت سعيدًا وكلي حماس وحيوية وإقبال على العمل وخدمة الناس:

- أما عملي كطبيب بشري فكان تقريبًا على مدار الساعة؛ حيث أقوم بالكشف على المرضى في العيادة الخارجية للوحدة، منذ الصباح الباكر وحتى الثالثة ظهرًا، وبعد ذلك أكون متواجدًا في سكن الطبيب أو استراحة الطبيب -كما كان يُطلق عليها- للتعامل مع أي حالة طوارئ تأتي بعد مواعيد العمل الرسمية.

وقد اكتسبت خبرات جيدة من خلال ممارستي للطب في هذه المرحلة، وكنت

دائمًا على تواصل مع أساتذتي في القاهرة للتشاور وأخذ الرأي فيما يصادفني من حالات صعبة. أما ما كان يصعب عليَّ التعامل معه من حالات؛ فأقوم بتحويله إما للزقازيق أو للقاهرة لعمل اللازم.

ضيف ثقيل

- أما عن عملي كطبيب شرعي؛ فقد كان لي فيه ذكريات وذكريات؛ لأنه كان مطلوب مني في حالة وقوع ضحايا في حادث أو أي شبهة جنائية في أي وفاة تحدث في محيط القرية فكان عليَّ مُعاينة الجثة، وكتابة تقرير مبدئي للعرض على وكيل النيابة لاستخراج تصريح الدفن. وكانت هذه هي أصعب مهمة في عملي.

ومن طرائف الأمور أن وقعت حادثة ونزل جرار زراعي بسائقه في الترعة، وتوفي السائق في الحال، وكان هذا الحادث عند الكيلو 15، وهو حدود قريتي مع القرية المجاورة (الملكيين البحرية)، فلما علمت بموقع الحادث حمدت الله بأن الحادث وقع في محيط القرية المجاورة.

ولكن للأسف كان الجرار كاملاً ومعظم الجثة في محيط قريتي، وكانت الحادثة بعد منتصف الليل. فأتى إليَّ أهل القتيل مع معظم أهل القرية الذين تربطني بهم علاقات طيبة، وطلبوا مني الذهاب معهم لتعيين الحادث، وكتابة التقرير.

وكنت دائمًا أخشى هذه المهمة خاصة إذا وقعت في الليل؛ لأنه في معظم الأحيان كانت صورة القتيل تظل عالقة في ذهني طوال الليل، ويظل خياله يلازمني في هذه الليلة الطويلة التي يصعب عليَّ النوم فيها، فكلما أغمضت عيني

أجد صورة القتيل ماثلة أمامي، فأظل هكذا حتى يطلع الفجر.

ففي تلك الليلة التي كان فيها هذا الحادث أو قل معظمه وقع في محيط قريتي، ذهبت إلى موقع الحادث مُحاطًا بحملة المشاعل، ونزلت على شاطئ الترعة لتعيين الجثة وفحصها. ومنعًا لوقوع تبعات هذا الفحص وما يحدث لي في كل مرة، فطلبت منهم أن يغطوا وجه القتيل ويكشفوا لي نصفه فقط في كل مرة للمعاينة، حتى لا تكتمل الصورة في ذهني. وظللت هكذا حتى أتممت كشفي وكتابة التقرير، وظننت أني سأنام ليلة هادئة دون وجه القتيل الملازم لي في كل مرة.

وما أن ذهبت إلى سريري وأغمضت عيني إذا بنصف الوجه يظهر لي، تارة النصف اليمين وتارة أخرى النصف الشمال، وفشلت خطتي، وقضيت الليلة كالعادة مستأنسًا بهذا الضيف الثقيل الذي كان يأبى أن يغادرني حتى مطلع الفجر كالعادة.

نظام التقاضي

من الأشياء التي استوقفتني هناك هو نظام التقاضي المُتَّبع عندهم، وهو نظام سهل وبسيط ويفصل في كثير من النزاعات التي قد تستغرق شهورًا بل أعوامًا في المحاكم.

ففي حالة نشوب نزاع أو خلاف بين فردين، تُعقد جلسة محاكمة يُدعى إليها أحد شيوخ القبائل غالبًا من العريش وكبار القرية مع مأمور المركز ووكيل النيابة -ليس بصفتهم الرسمية- وكنت أحيانًا أُدعى لمثل هذه الجلسات. ويحضر

المتخاصمون، وكل منهم معه من يتحدث نيابة عنه (مثل عمل المحامي)، وذلك في حضور أهل القرية وبعض الشهود إذا لزم الأمر. وبعد تقديم كل خصم روايته، يجلس أعضاء هيئة التحكيم برئاسة هذا الشيخ ومن ثَمَّ يكون القرار وهو تغريم المُخطئ بمبلغ من المال، وهذا المبلغ تكون قيمته حسب حجم الخطأ المُرتكب، وعلى المُعتدي دفع هذا المبلغ، على أن يُحفَظ مع أحد أعضاء هيئة التحكيم لمدة ستة أشهر، يُتابع خلالها الوضع فإن لم يتكرر هذا الخطأ تُرَدُّ إليه أمواله، أما إذا تكرر الخطأ فتذهب هذه الأموال إلى المُعتدَى عليه.

وهكذا يكون القضاء والقصاص العادل والناجز، ويسري بين أهل القرية أن فلانًا حُكِمَ عليه بمبلغ كذا وكذا، وهو ما يجعل الناس تتحسب، ويراعي بعضهم البعض، وألا يحدث بينهم ما يؤدي إلى هكذا جلسات.

أهل كرم

لعل من المشهور عن أهل الشرقية -كما أسلفنا - أنهم أهل كرم، بل ويُضرب بهم المثل في الكرم والجود، ولا أكون مبالغًا إذا قلت: إن هذا الوصف أقل بكثير من حقيقة الأمر. فلو أن الكرم رجلاً، لكان أهل الشرقية هم ذلك الرجل، وقد لمست ذلك وبشكل كبير أثناء فترة تواجدي معهم، فلم أشعر ولو للحظة أني غريب عنهم، ولكني كنت كأني فرد منهم، وُلدت ونشأتُ وترعرعتُ معهم، فالجميع يتنافس على دعوتي إلى منزله سواء في ذلك أكابر البلد والأغنياء والفقراء.

حكم عليّ بألف جنيه

ولعلي أسوق إليكم هذه القصة التي تؤكد وتُظهر مدى كرم وعفوية أهل الشرقية.

فقد كنت عادةً أقضي عطلة نهاية الأسبوع في القاهرة، فبعد عمل يوم الخميس أسافر، وأعود إلى عملي يوم السبت في الصباح الباكر.

وفي أحد الأسابيع قررتُ عدم السفر والبقاء في القرية، فلما كانت صلاة الجمعة وما أن رآني أهل القرية موجودًا بينهم بعد الصلاة حتى تبارى كلٌّ منهم في دعوتي إلى تناول طعام الغذاء معه، وكان من بين هؤلاء رجل طيب وبسيط اسمه "عم سيد" أمسك بيدي وظل ممسكًا بها للحظات ثم تركها، ليُمسك بها رجل آخر، وللحق فمن شدة حفاوة الناس نسيتُ عم سيد وذهبت مع هذا الرجل الفاضل، وتناولت معه طعام الغذاء وسط حفاوة وكرم أهل بيته.

وبعد الغذاء ذهبت إلى سكني، وفي المساء إذا بطارق يطرق الباب، فلما فتحت إذا بعم سيد وقد علا وجهه غضب شديد، وقال لي معاتبًا: إنه أُصيب بخيبة أمل كبيرة لعدم قبولي دعوته، ليس ذلك فحسب، بل هدد أنه سيدعو إلى عقد جلسة للتقاضي ضدي، وسيطلب منهم الحكم عليّ بغرامة قدرها ألف جنيه، وهي على ما يبدو أقصى عقوبة؛ وذلك نظرًا للجُرم الكبير الذي ارتكبته في حقه.

فعانقته وهدأت من روعه، وقلت له معتذرًا عن عدم تناولي طعام الغذاء عنده: لقد فاتني الغذاء معك، فما رأيك في تناول العشاء معكم؟ وهنا انفرجت

أساريره، وقال لي: إنك تمزح!! فقلت له: لا، فأنا جادّ جدًّا، وسآتي معك الآن، وسنتناول العشاء سويًّا، وبما هو متاح في المنزل.

فتنازل الرجل الطيب عن تهديده ووعيده وذهب غضبه، وصحبني معه إلى بيته المتواضع. وما أن دخلت داره حتى نادى على زوجته لتُعِدَّ لنا طعامًا، وكان طعامًا غاية في اللذة والحلاوة التي لم أذق مثلها من قبل.

وقضيت مع عم سيد ليلته وتركت منزله وهو سعيد مُستبشر بهذا الحدث الجميل.

هكذا كان كرم أهل الشرقية، وحبّهم للعطاء بلا حدود.

ثمرة تجربة الشرقية

قضيت في هذه القرية الطيبة "السماكين الغربية" ثمانية عشر شهرًا -كما أسلفت-، وأثناء تلك الفترة اكتسبت الكثير من الخبرات:

* ففي المجال الطبي: كانت تلك أول خبرات أكتسبها، وأنا أعمل بمفردي، وكانت تلك بداية الغيث، وما حملته من خبرات فيما بعد.

* وفي المجال الإداري: فقد كان هناك بعض الصعوبات والتحديات التي واجهتها؛ نظرًا لقلة خبرتي أو قل عدم خبرتي في العمل الإداري، ولكني -والحمد لله- واجهتها وأصبح عندي خبرة لا بأس بها في العمل الإداري. وإن كنت لم أمارس العمل الإداري في أي مرحلة من مراحل حياتي، بل على العكس كنت دائمًا أتفادى أي عمل إداري أو رئاسي بأي شكل من الأشكال.

* أما في الجانب الإنساني: فقد تعلمت منهم معنى العطاء والجود والكرم، وأحسست أنهم امتداد لما زرعه والداي -رحمة الله عليهما – بداخلي من قبل.

يوم الرحيل

وهكذا كانت فترة عملي بالشرقية فترة مُثمرة جدًّا ومحطة مهمة في بداية مشواري العملي.

حتى كان يوم الرحيل، اليوم الذي لا بد لي أن أفارق تلك البلدة الطيبة وأهلها الأكارم، ولقد كان يومًا عصيبًا عليَّ أنا شخصيًّا وعلى أهل القرية الذين تألموا لرحيلي عنهم، وهو ما ظهر جليًّا في يوم سفري ورحيلي بشكل نهائي؛ حيث تجمَّع عدد كبير من أهل القرية أغنياؤهم وفقراؤهم، وجهاؤهم وبسطاؤهم، تجمعوا وأعينهم تفيض من الدمع، وأصرُّوا على اصطحابي إلى محطة الأتوبيس الذي سأستقله إلى القاهرة.

ولقد كانت مظاهرة حبّ ومودة، وقد انتابني شعور بالحزن ممزوج بالفرح؛ حزنٌ لفراق هؤلاء الناس الطيبين، وفرحٌ وسعادة لهذا الحب وتلك المودة التي أظهروها لي وهو ما يفخر به كل إنسان.

وغادرت الشرقية لتبقى حلاوة ولذة تلك الأيام في مُخيلتي وفي قلبي. وسارت بيني وبين معظم أهلها علاقات طيبة فيما بعد، وظلوا على تواصل معي وزيارتي في القاهرة كلما أُتيحت الفرصة لأحدهم.

وهكذا أعزائي انطوت هذه الصفحة الجميلة من حياتي لأبدأ مرحلة أخرى في مشواري.

نيابة جراحة المسالك البولية

عودًا إلى الحلم الأمريكي، فبعد ما حدث من ضياع لهذا الحلم، وفي تلك الأثناء وأنا في حالة من الحزن والامتعاض على ضياع الحلم المزعوم؛ ترشحت لنيابة "جراحة المسالك البولية". فقبلتها وصرفت النظر عن "الحلم الأمريكي"، وتسلمت عملي كنائب جراحة المسالك البولية في الهيئة العامة للتأمين الصحي.

وبعدها حصلت على درجة الماجستير في جراحة المسالك البولية من طب "القصر العيني"؛ لأصبح أخصائي في نفس الهيئة.

واستمر عملي الروتيني ما بين المستشفى في الصباح والعمل الخاص في المساء، وقد حاولت في هذه الفترة عمل شيء متميز؛ فقد أنشأت وحدة "الدراسات الديناميكية للمثانة ومجرى البول: "Urodynamic study"، وكان ذلك بمساعدة أستاذي؛ الأستاذ الدكتور جمال الباز -رحمة الله عليه-.

وقد كانت هذه الوحدة هي الوحيدة التي تُقدّم هذه الخدمة لمرضى التأمين الصحي على مستوى الجمهورية -من الإسكندرية لأسوان-، والحمد لله كنت سعيدًا جدًّا بهذا العمل المتميز، والذي كان له مردود جيد على المستشفى التي أعمل بها "مستشفى 6 أكتوبر" بالدقي وعليَّ أنا شخصيًّا.

وقد تعلمتُ الكثيرَ في هذه الفترة على يد أساتذة عظام في جراحة المسالك

أمثال: الأستاذ الدكتور علي حسين "القصر العيني"، والأستاذ الدكتور جمال الباز "الساحل التعليمي"، والأستاذ الدكتور مجدي السعيد، "القصر العيني"، والأستاذ الدكتور عمرو عبد الحكيم "القصر العيني"، والأستاذ الدكتور عبد الله حنبل؛ رئيس قسم المسالك وغيرهم من الأساتذة العظام الذين أَدِينُ لهم بكل الفضل لما وصلتُ له. فرحمة الله على مَن توفاه الله منهم، ومنَح الله الصحة والعافية لمن ما يزال منهم على قيد الحياة.

هنا إفريقيا

لم أكن أعلم الكثير عن إفريقيا، ولم يخطر ببالي أن أسافر للعمل بها. وكانت كل معلوماتي عن إفريقيا أنها البوابة التي من خلالها نتأهل إلى نهائيات كأس العالم في كرة القدم.

هكذا كان الجهل الذي أعترف به تجاه واحدة من أهم قارات العالم، وهذا تقصير مني لا شك فيه. وهذا كان حال معظم أبناء جيلي، فنحن نعرف كل صغيرة وكبيرة عن أوروبا وأمريكا، ونعرف بلادها وأهم المدن بها، والكثير والكثير عن شمال الكرة الأرضية. أما القارة التي ننتمي إليها؛ فمعلوماتنا عنها تكاد تكون منعدمة.

الصندوق المصري للتعاون الفني مع إفريقيا

حتى كان اليوم الذي تعرفت فيه على رجل محترم يعمل في الخارجية المصرية؛ الدكتور حمدي الطويل، وحدثني كثيرًا عن إفريقيا، وعن الصندوق المصري للتعاون الفني مع إفريقيا. وهو صندوق تأسَّس بهدف التعاون الفني مع إفريقيا في مرحلة ما بعد تصفية الاستعمار، ودعمها

بالخبرات الفنية في مجالات شتَّى؛ منها الطب والهندسة والزراعة والتعليم، وغيرها.

وكانت تلك هي سياسة مصر تجاه إفريقيا منذ زمن الزعيم الراحل "جمال عبد الناصر" الذي قدَّم الدعم للقارة في محاربة الاستعمار، والهيمنة الغربية على ثروات وأقدار القارة، فكان من الطبيعي وبعد التخلص من المستعمر كان لا بد لمصر من تقديم العون الفني لتلك الدول بعد الفراغ الذي خلَّفه المستعمر بعد خروجه من تلك البلاد.

ولا أُخفيكم القول، أني لم أكن متحمسًا لفكرة السفر إلى إفريقيا، وكان الحلم الأمريكي مازال يُداعبني بين الفينة والفينة، ولكنه وكلما مرَّ الوقت أصبح بعيد المُحال.

إلى زيمبابوي

توطدت العلاقة بيني وبين هذا الرجل المحترم "الدكتور حمدي الطويل"، وأصبحت علاقة على مستوى أُسري نتبادل خلاله الزيارات.

حتى وجدته يومًا يتصل بي، ويقول: أتريد السفر إلى زيمبابوي؟ ويتأخر ردي عليه.. فأين تقع زيمبابوي؟ وكيف الوصول إليها؟ وما هي مزاياها؟ ولم أجد إجابة سريعة لهذه الأسئلة، ولكني أخيرًا... وافقتُ.

ربما لبداية تعلقي بإفريقيا من حديث صديقنا العزيز، أو أن الله -سبحانه وتعالى- أراد بنا خيرًا.

وبدأت رحلة البحث والدراسة وجمع المعلومات عن هذا البلد الذي سأذهب إليه. وتمت الإجراءات من خلال الصندوق المصري للتعاون الفني مع إفريقيا،

وكانت الرحلة الكبرى والخطوة العظمى في حياتي؛ وهي السفر إلى إفريقيا.

وسافرت مع أسرتي، زوجتي " طبيبة أسنان" وابني الذي لم يكن يتجاوز الخامسة من عمره، وابنتي التي لم تتجاوز السنتين من عمرها. لنبدأ مرحلة جديدة وجميلة في حياتنا، وكان ذلك في مارس 1992م.

أحقًّا هذه إفريقيا؟

كان كل ما لدينا من معلومات عن إفريقيا أنها عبارة عن غابات كثيفة والناس تعيش فيها حياة بدائية، وقد تتوقع وأنت تسير في شوارعها أن يقابلك فيل كبير أو أسد في نزهة مع أسرته!!

ولعل من طرائف الأمور، أننا كنا نستسقي معلوماتنا عن إفريقيا من خلال التقارير التي تصل إلينا من البعثات التي كانت ترافق فرق كرة القدم التي كانت تذهب إلى اللعب هناك. وذلك في حقبة ما قبل الأقمار الصناعية ووسائل البث التلفزيوني المباشر.

وكان من بين ما يُساق إلينا عن أسباب الهزائم الثقيلة التي كانت تُمْنَى بها فِرَقُنَا؛ أنَّ الفريق الخصم كان يضع أسدين خلف مرمى حارس مرمانا، وهو ما كان يسبِّب للحارس قلقًا وانزعاجًا، فكلما نظر خلفه ليطمئن أن الأسدين لن يهجما عليه كان يُمْنَى مرماه بهدف، وكان علينا أن نُصدِّق تلك القصص!!

فلما وصلنا إلى مطار هراري (عاصمة زيمبابوي) لأول مرة، وكان في استقبالنا أحد أعضاء السفارة المصرية هناك، وكان استقبالاً محترمًا وراقيًا.

وما أن خرجنا من المطار حتى كانت المفاجأة الكبرى.

أحقًّا هذه هي إفريقيا التي في مُخيلتنا؟ فقد وجدت مدينة غاية في النظافة والرقي والتقدُّم والنظام تمامًا عكس ما كان يُصوَّر إلينا عن إفريقيا. لدرجة أني قلت مازحًا: أحقًّا هذه هراري؟ أخشى أن يكون الطيار أخطأ، وهبط بنا في إحدى دول أوروبا.

وبالفعل لقد كانت هذه أول صدمة، وهذا كان الانطباع الجيد الذي أخذته عن مدينة هراري، وعن زيمبابوي وشعبها.

ومن هنا بدأت أولى خطواتنا في زيمبابوي.

وقبل أن نبدأ رحلتنا في أعماق إفريقيا أعزائي فلنتوقف قليلاً لنتعرف على هذا البلد الجميل "زيمبابوي".

نبذة عن زيمبابوي

1 - جغرافيًّا:

تقع زيمبابوي في جنوب شرق القارة الإفريقية، ويحدها من الشرق موزمبيق، ومن الغرب بوتسوانا، ومن الشمال زامبيا، ومن الجنوب دولة جنوب إفريقيا.

وزيمبابوي دولة داخلية ليس لها إطلالة على المحيط الهندي أو الهادي. ومساحتها حوالي 390 ألف كيلو متر مربع.

2 - سياسيًّا:

كانت زيمبابوي مستعمرة بريطانية تُعرف باسم "روديسيا الجنوبية"، وفي سنة 1965م أعلن إيان سميث زعيم الأقلية البيضاء انفصالها عن بريطانيا.

وقد أثارت سياسة سميث العنصرية غضب المجتمع الدولي؛ فأعلنت العديد من الدول مقاطعة روديسيا، وفرضت الأمم المتحدة مقاطعة اقتصادية على حكومة سميث.

وكان من نتاج هذه السياسة العنصرية التي اتبعتها الأقلية البيضاء أن قامت حركات ثورية من الأغلبية الأفارقة لمقاومة هذه السياسة العنصرية، وتوحدت جهود المقاومة فتكوَّنت الجبهة الشعبية لتحرير زيمبابوي بزعامة روبرت موجابي،

وجوشوا نكومو. وقد حازت هذه الجبهة على تأييد عالمي، وكان لمصر دور كبير في دعم ومساندة هذه الحركة، وأخيرًا نالت روديسيا استقلالها سنة 1980م، وعُرفت باسم زيمبابوي وعاصمتها هراري.

3 - التركيبة السكانية واللغة:

يبلغ تعداد سكان زيمبابوي (حسب تقرير يوليو 2014م) حوالي 14 مليون نسمة.

واللغة الرسمية في زيمبابوي هي الإنجليزية، وهناك لغات محلية أخرى مثل الشونة التي يتحدث بها قبائل الشونة (حوالي 70٪ من تعداد السكان)، تليها الإنديبالي، وهي لغة قبائل الإنديبالي (حوالي 20٪ من السكان). وهناك أقليات أخرى تتحدث لغات مختلفة.

4 - الديانات:

تُعتبر عبادة الأسلاف، وهو دين غير الديانات السماوية، ويعتمد على الشفاعة الروحية للأحياء مِن قِبَل الأموات من الآباء والأجداد. ويعتبر هو الدين التقليدي السائد في البلاد، وظل هكذا حتى بدأ الاختلاط بين الأفارقة والأوروبيين، وبدأت تظهر المسيحية، ثم ظهرت ديانات توافقية وهي مزيج بين المسيحية والديانات التقليدية (الأسلاف).

وعليه أصبحت الديانات في زيمبابوي على النحو التالي:

- ديانات توافقية: يعتنقها حوالي 50٪ من السكان.

- المسيحية: يعتنقها حوالي 25٪ من السكان.

- معتقدات محلية أخرى: ويعتنقها حوالي 23٪ من السكان.

- الإسلام: ويعتنقه حوالي 2٪ من السكان، معظمهم من الأفارقة الذين هاجروا من الدول المحيطة خاصة ملاوي، وأثناء الحقبة الاستعمارية أتى كثير من المسلمين من شبه القارة الهندية.

5 - الثروات الطبيعية:

تمتاز زيمبابوي بثرواتها الطبيعية مثل: الفحم والذهب والنيكل والنحاس والقصدير والحديد.

ومن أهم صادراتها: التبغ والبلاتينوم والقطن والذرة والحبوب والثروة الحيوانية من بقر وأغنام.

6 - المناخ:

يتميز مناخ زيمبابوي بأنه مناخ قارّي بارد في الشتاء، حارّ ممطر في الصيف. وإن كان يغلب عليه الاعتدال في معظم أيام السنة.

وفصول السنة في زيمبابوي (كباقي دول جنوب الكرة الأرضية) عكسها في شمال الكرة؛ فالصيف جنوبًا يقابله الشتاء شمالاً، والعكس صحيح.

كانت هذه أعزائي نبذة سريعة عن زيمبابوي، ولنعود إلى الحياة والعمل في زيمبابوي.

بداية الحياة والعمل في زيمبابوي

إلى بولاوايو

وبدأنا نخطو أول خطواتنا في زيمبابوي؛ فقضينا عدة أسابيع في هراري (العاصمة) للتأقلم واستيعاب النظام في العمل هناك، وكانت فرصة أيضًا للتعرُّف على أهلها وطبائعهم. وفي أثناء هذه الفترة كنا نلقى عناية كبيرة من السفارة وأعضائها الذين لم يدّخروا جهدًا في راحتنا وتذليل كل عقبة قد نواجهها.

وبعد هذه الفترة تم توزيعي للعمل في مدينة بولاوايو.

ومدينة بولاوايو هي ثاني أكبر مدينة في البلاد بعد العاصمة هراري، وهي تبعد حوالي 450 كم عن العاصمة جنوبًا، وتعتبر بولاوايو العاصمة الصناعية؛ حيث بها معظم المصانع، وهي أقرب ما تكون للحدود مع الدول المجاورة. وهي مدينة تتميز بالهدوء وجمال الطبيعة وشوارعها الواسعة.

وبدأتُ العمل في مستشفى "إمبيلو"، وهي واحدة من 4 مستشفيات تعليمية كبرى في البلاد، حيث توجد اثنتان منهم في هراري واثنتان في بولاوايو. وقد قابلت بعض الصعوبات في البداية، خاصة مع نظام العمل واللغة، ولكنها لم تدم طويلاً حتى تأقلمتُ وتغلبتُ على هذه الصعاب.

وسنأتي إلى ذِكْر ظروف العمل وما تم من إنجازات فيه بشيء من التفصيل لاحقًا.

المدارس

وكانت المشكلة الأخرى التي واجهتنا، وكنت أخشاها، هي المدارس؛ فالتعليم يتبع النظام البريطاني، وقد ألحقت ابني بمدرسة ابتدائية، وكنت أخشى عليه من عائق اللغة وكيفية التعامل مع الأطفال. ولكني فوجئت أنه تأقلم وبسرعة مذهلة مع الأطفال هناك.

وهنا لا بد أن أسجّل شكري وتقديري للمدرسين الذين كانوا في غاية التعاون والمهنية في التعامل مع ابني.

أما ابنتي فقد التحقت بالحضانة وبعدها بالمدارس الابتدائية. وأيضًا تأقلمت سريعًا مع اللغة والنظام؛ شأنها شأن أخيها.

نهاية التعاقد

وفي وقت أسرع من البرق يمر أربع سنوات، وهي مدة التعاقد مع الصندوق المصري. لنواجه السؤال الكبير، هل هي العودة إلى مصر أو البقاء في زيمبابوي؟!

الوقوع في غرام زيمبابوي

لقد كان في مخططنا البقاء والعمل في زيمبابوي لمدة أربع سنوات، وهي فترة تعاقد الصندوق المصري معنا. فسياسة الصندوق هي دعم "الخبير" لمدة أربع سنوات، بعدها يُترك له الأمر والخيار: إما العودة إلى مصر أو البقاء في البلد الذي

بُعث إليه بتعاقد محلي مع سلطات ذلك البلد.

فبعد انقضاء السنوات الأربع كان قراري وبدون أيّ تردُّد هو البقاء بهذا البلد الجميل. وبدلاً من أربع سنوات استمر بنا الحال إلى قرابة الثلاثة عقود ومازلنا (حتى وقت كتابة هذه السطور).

وكان لقراري هذا عدة أسباب نوجزها فيما يلي:

1 - جمال البلاد وقوة البنية التحتية:

من أكثر ما يميز زيمبابوي هو جمال طبيعتها، فأينما ولَّيْت وجهك لا ترى إلا اللون الأخضر المختلط بألوان الورود المختلفة والأشجار التي تملأ الشوارع - معظمها أشجار الجاكراندا - التي تُورق في وقت الربيع، وتملأ الدنيا باللون البنفسجي، وتتساقط الأوراق على الأرض لترسم لوحة بديعة، وكأن الأرض فُرِشَتْ بسجاد جميل تتناسق الألوان مع ما يحيط بها من خضرة التي هي منتشرة في معظم فصول السنة، وهو ما يعطيك إحساسًا بالراحة والسكون. أما المناخ فهو معتدل معظم فصول السنة.

أضف إلى ذلك البنية التحتية القوية من طرق ومواصلات وشبكات لصرف مياه الأمطار التي تجري في أنهار تصبّ في سدود لتُعالج وتُستخدم في الشرب وخلافه. وكذلك شبكات الكهرباء وغيرها من كل مقومات الحياة.

فلا تشعر أنك تعيش في دولة أو مدينة نائية متواضعة الإمكانيات، بل هي على طراز معماري قوي وراقٍ يحاكي إنجلترا والدول الأوربية. فقد تأثرت البنية

التحتية والحركة المعمارية بما قام به الإنجليز والأوربيون من أعمال بناء وتعمير؛ لأنهم كانوا يُعِدُّونها لتكون مكانًا للعيش والإقامة، وليست احتلالاً كما هو الحال في معظم البلاد التي تم غزوها.

فكما هو معلوم أن هناك فرقًا بين الاحتلال والاستعمار؛ فالاحتلال هو تواجد عسكري للمُحتل والتحكُّم في الأرض التي تقع تحت سيطرته، أما الاستعمار فهو السيطرة على كل مقدرات وثروات البلاد، وفرض ثقافة المستعمر وأسلوبه في العيش، وتحويل البلاد إلى مكان يصلح للعيش والبقاء به. وهذا كان حال زيمبابوي؛ حيث كانت مستعمرة بريطانية – كما أسلفنا –.

2 - التعليم:

كان من عوامل الجذب الكبيرة والقوية والتي ساهمت في قراري بالبقاء في زيمبابوي هو التعليم. فالتعليم هنا يسير بالأسلوب والمنهاج البريطاني، فقد لا تشعر بفارق كبير بين زيمبابوي وبريطانيا في التعليم الأساسي (قبل الجامعي)؛ فالمدارس كبيرة ونظيفة وبها ملاعب واسعة، وحمامات سباحة، وغير ذلك من كل أنواع الأنشطة الرياضية.

أما عن المناهج المتَّبعة في الدراسة؛ فهي قريبة جدًّا من المناهج الإنجليزية، والشهادة التي تُمنح في نهاية التعليم الأساسي هي الشهادة البريطانية (آي جي).

أما عن أسلوب التعليم فهو أسلوب يرمي إلى بناء وتنمية شخصية الطالب بدنيًّا وذهنيًّا. فإلى جانب الدراسة العلمية من علوم ورياضيات ولغة وتاريخ

وخلافه، هناك اهتمام كبير بالرياضة، فهي جزء مهم جدًّا من حياة الطالب؛ وذلك إلى جانب الأنشطة الثقافية والتأهيل الذهني والفكري؛ حيث تُقام ندوات ومناظرات تنظّمها المدارس فيما بينها، إلى جانب الأنشطة الاجتماعية التي يشارك الطلبة بجهد كبير فيها، وهي ترمي إلى تنمية روح العطاء والانتماء للمجتمع الذي تعيش فيه.

فتحصل في النهاية على إنسان سويّ قادرٍ على اتخاذ القرار وقدرة على التعامل مع الآخرين وهو ما تلاحظه من نضوج فكريّ وأنت تتعامل أو تتحاور مع الطالب، فرغم حداثة سنّه تجد أنك أمام شخص عاقل كبير كامل الأهلية.

وقد تعلم أبنائي وتخرجوا من تلك المدارس وحصلوا على شهادتهما منها.

فابني الأكبر "محمود " سافر إلى إنجلترا لاستكمال دراسته الجامعية، والحمد لله لم يجد أي صعوبة في التكيُّف والتعامل مع النظام الإنجليزي، ولم يشعر قط بأيّ غربة، فكأنك تخرجت من مدرسة السعيدية الثانوية، والتحقت بعدها بجامعة القاهرة.

والحمد لله أكمل دراسته وحصل على شهادته الجامعية الأولى في الاقتصاد من جامعة يورك، وحصل على المركز الأول بين أقرانه، ثم أكمل دراسته العليا بعدها، ودخل مُعترك الحياة العملية.

أما ابنتي "دينا" فقد أكملت دراستها في الجامعة الأمريكية في القاهرة، وكانت أيضًا من المتفوقات وتخرجت من الجامعة، ثم أكملت دراساتها العليا لتبدأ حياتها العملية.

حلم بعيد المنال يتحقق

ولعل من غرائب الأمور، أني عند مولد ابني "محمود"، وكنت وقتها مازلت في القاهرة أعمل وأسعى، خطر على بالي أمنية تمنيتها من الله، وهي أن أُوَفَّق في إرسال ابني للتعليم والتخرج من إنجلترا!!

سبحان الله!!، فرغم أني لم أكن أمتلك أي شيء يؤهلني لتحقيق تلك الأمنية أو حتى التفكير فيها آنذاك. فكانت إرادة الله، الذي دائمًا عند حُسْن ظَنّ عبده به، فيسَّر الله لنا السفر إلى زيمبابوي، ومنها استطاع ابني أن يلتحق بالجامعات البريطانية ويتخرج منها كما حلمتُ وتمنيتُ، ليصبح الحُلْم الذي كان بعيد المنال حقيقةً، فلله المَنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

3 - سهولة العيش والحياة

ومن الأشياء التي دعتنا لاتخاذ قرار البقاء بزيمبابوي هو سهولة العيش والحياة بها؛ فالشوارع نظيفة والطرق واسعة، خاصة في المدينة التي استقر بنا المقام فيها "مدينة بولاوايو"؛ فهي -كما أسلفنا - ثاني أكبر مدينة في البلاد بعد العاصمة. فالحياة اليومية والانتقال من مكان إلى مكان فيها يتم في سهولة ويسر.

4 - الشعب المبتسم

ولعل من أهم العوامل التي دعمت قرارنا بالبقاء هو طبيعة الشعب الزيمبابوي. فهو شعب طيب، غاية في الطيبة، ومتواضع لأبعد الحدود. فقد تكون مثلاً في أحد البنوك وخلفك في الطابور وزير أو محافظ، وقد يكون وزيرًا

لوزارة سيادية مثل وزارة الداخلية مثلاً. وقد حدث ذلك معي في كثير من الأحيان.

ناهيك عن عامة الشعب، فأثناء سيرك في الشوارع، وتعاملك اليومي مع الناس؛ سواء كانوا موظفين حكوميين أو أشخاصًا عاديين من عامة الشعب؛ كثيرًا ما تسمع هاتان الكلمتان: "شكرًا"، و "آسف"؛ فهم شعب غاية في الأدب والاحترام، وشعب مسالم.

أضف إلى هذا حالة الرضا والقناعة التي تراها في وجوه الناس رغم ضيق العيش أحيانًا. فكثيرًا ما تمرُّ أوقات يحدث فيها نقصٌ في الوقود أو في بعض المواد التموينية والناس في طوابير طويلة، لكنَّ الابتسامة العريضة تعلو وجوههم، فتلك الابتسامة ملازمة لهم لا تفارق مُحياهم في كل وقت وحين؛ في أوقات الرخاء وأوقات الشدة. وهو ما جعلني أطلق عليهم: "الشعب المبتسم".

5 - علاقة الود والمحبة المتبادلة

ومن العوامل المهمة التي جعلتني أقرّر البقاء واستمرار العمل في زيمبابوي هو علاقة الحب والوُد المتبادل بيني وبينهم. وتعلقهم بي وتعلقي بهم، وعلاقة الحب والاحترام المتبادل بيني وبين جميع فئات الشعب؛ بدايةً من المسؤولين على أعلى مستوى في الدولة إلى أفراد الشعب العاديين جدًّا.

وسنأتي إلى ذكر ذلك بالتفصيل، كيف نشأت، وكيف تطورت تلك العلاقة الطيبة.

الحصاد

لقد منَّ الله عليَّ بإنجازات كثيرة تحقَّقت أثناء إقامتي بزيمبابوي، وقد تمحورتْ تلك الإنجازات في أربع محاور:

الأول: إنجازات في المجال الطبي (العلمي والعملي).

ثانيًا: إنجازات في المجال الخدمي (خدمات اجتماعية).

ثالثًا: إنجازات في المجال الدعوي.

رابعًا: إنجازات في المجال الوطني (في حبّ مصر).

أولاً: إنجازات في المجال الطبي

لقد واجهتُ بعض الصعوبات في بداية عملي في زيمبابوي -كما أسلفت-، حتى تعودتُ على نظام العمل الذي يختلف عنه في مصر، وكذلك حاجز اللغة، رغم أنَّهم يتحدّثون الإنجليزية التي أُجيدها إلى حدٍّ كبيرٍ، ولكنَّ الأمر قد يحتاج بعض الوقت حتى تتعوَّد عليها لتكون لغة حياتك اليومية.

والحمد لله هذه الفترة لم تدم طويلاً، حتى تعودتُ على النظام الجديد، واستطعت في وقت قصير التأقلم والانخراط في المنظومة.

وقد أبهرني النظام في العمل والمهنية، خاصةً في العمليات والنظام المُحْكَم والالتزام التامّ والجادّ بالمواعيد.

الخبرات المُكْتَسَبة

لقد كانت فرصةً عظيمةً لتبادل الخبرات مع الزملاء من مختلف بلاد العالم. فكان يعمل معنا في نفس المستشفى جرَّاحُون، وأطباء باطنة، وأطفال، وأمراض نساء، وفي غيرها من التخصُّصات من بلدان كثيرة.

فإلى جانب الزملاء الزيمبابويين كان هناك آخرون من إنجلترا وألمانيا والسويد والدنمارك وهولندا والهند وباكستان وإيران، وغيرها من دول العالم. لدرجة أني كنت أمزح معهم ونحن في أوقات الاستراحة في غرفة الأطباء، وأقول

لهم: إننا هنا في تمثيل مُصغَّر لمنظمة الأمم المتحدة.

أما خبراتي فقد اكتسبتها من:

- ما تعلمته من أساتذتي في مصر -كما أسلفت من قبل-.
- ما تعلمته من الأساتذة الزُّوَّار من إنجلترا، وكانوا يأتون بشكل منتظم لزيارتنا وإمدادنا بالأجهزة والخبرة والمعلومات وبكل جديد في مجال المسالك البولية. وتوطَّدت العلاقات بيننا، وكنا دائمًا على تواصل لتبادل المعلومات والخبرات.
- الكَمّ الهائل من الجراحات التي قمت بها؛ حيث إني كنت استشاري المسالك البولية الوحيد في المستشفى (إمبيلو)، مع مستشفى أخرى في مدينة بولاوايو وبها زميل آخر. وكنا نستقبل التحويلات من القطاع الجنوبي من البلاد (حوالي 3-4 ملايين نسمة)، وكانت الخبرة تزيد يومًا بعد يوم، وخاصةً مع كَمّ الجراحات والتنوُّع الكبير في الحالات التي تُعْرَض علينا.
- التواصل مع الزملاء في الخارج، وخاصةً إنجلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث كنت أعرض عليهم الحالات الصعبة، كلٌّ في مجال اختصاصه واهتمامه، وأخذ الرأي في هذه الحالات.

مركز التدريب معتمد من إنجلترا

لقد كانت المستشفى التي أعمل بها (إمبيلو) مركزًا معتمدًا من المملكة المتحدة لتدريب الأطباء المتقدمين للحصول على الزمالة من كلية الجراحين البريطانية. وقد تدرب معي عدد كبير من الأطباء، وذهبوا بعدها لاستكمال دراستهم في

إنجلترا بعد اعتمادنا لمدة تدريبهم معنا، ومنهم من يَشْغلون الآن مناصب عليا في النظام الصحي البريطاني من استشاريين وأساتذة في الجامعات.

الزمالة

لقد قامت كلية الجراحين الملكية بأدنبرة بفتح فرع لها في إفريقيا، وتشمل دول جنوب وشرق ووسط إفريقيا، وأطلق عليها الكوسيكسا (COSECSA)؛ وهو اختصار لكلية جراحين جنوب وشرق ووسط إفريقيا، وتقوم بتدريس نفس مناهج الكلية الملكية البريطانية، يأتي الممتحنون من إنجلترا مع نُظرائهم من إفريقيا كلّ عام إلى إحدى الدول الإفريقية الأعضاء في هذه الجمعية، وتُمنح هذه الزمالة بعد دراسة ثلاث سنوات.

والحمد لله، كنت واحدًا من المعتمدين من كلية الجراحين البريطانية لأكون من المدرسين والممتحنين لطلاب الزمالة؛ حيث كنا -كما أسلفت- مركزًا معتمدًا للتدريب لطلاب الزمالة.

الزمالة الشرفية

وقد منحتني لجنة الزمالة العضوية الشرفية؛ نظرًا لمجهوداتي في التدريس والبحث العلمي، وأصبحت زميلاً لكلية الجراحين (FCS).

إنجازات في مجال المسالك البولية:

هذه بعض الإنجازات المتواضعة التي أسهمت فيها في مجال المسالك البولية:

- كنت من الأعضاء المؤسسين للجمعية الإفريقية لجراحة المسالك البولية.

- اشتركت في العديد من المؤتمرات الدولية والقارية والمحلية، قدمت خلالها عددًا كبيرًا من الأبحاث العلمية في مجال المسالك البولية. وقد تم نشر معظمها في دوريات عالمية.

- سافرت إلى إنجلترا في رحلة تدريبة على جراحات مجرى البول في جامعة شيفيلد، والتقيت هناك بالبروفسير كريس تشابل (Chris Chapple)؛ والذي له خبرة واسعة في مجال جراحة مجرى البول. وكانت فترة مفيدة جدًّا تعرفت خلالها على عدد كبير من الزملاء في إنجلترا، وأصبحنا على تواصل لنتبادل الخبرات.

وهنا لا بد أن أسجل شكري وتقديري للصديقة والزميلة كريستين إيفين (Christin Even) من يورو لينك (uro link)؛ وهي جمعية منبثقة عن جمعية جراحي المسالك البولية البريطانية وهي تُعنَى بالتعاون ومساعدة الدول النامية في مجال المسالك البولية؛ فقد قامت كريستين بجهد كبير في مساعدتنا في زيمبابوي، وتسهيل تواصلي مع الزملاء في إنجلترا وسفري إلى هناك.

- كنت عضوًا في عدة جمعيات عالمية:

* الجمعية الدولية لجراحي المسالك البولية.

* الجمعية الأوروبية لجراحي المسالك البولية.

* الجمعية البريطانية لجراحي المسالك البولية.

* الجمعية الإفريقية لجراحي المسالك البولية.

- اختراع جراحة جديدة:

ولعل من أكبر الإنجازات، وأهمها على الإطلاق هو أن مَنَّ الله عليَّ باختراع تكنيك جديد في جراحة مجرى البول:(Tunica Vaginalis Urethroplasty).

وهو يعتبر إضافة مهمة في جراحات مجرى البول؛ وذلك بشهادة العديد من عمالقة جراحة مجرى البول في العالم أمثال:

(Gudion Barbagly) جودين باربا جلي من إيطاليا.

(Chris Chapple) كريس تشابل من إنجلترا.

وآخرين من الولايات المتحدة ومن مصر. وقد تم نشره في عدة دوريات عالمية، وتقديمه في مؤتمرات دولية، وقد نال استحسانًا وترحيبًا كبيرًا من الزملاء في جميع أنحاء العالم، حتى إن
بعضهم أطلق عليه اسم: "عشماوي تكنيك".

ولله المنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

ثانيًا: المجال الخدمي (خدمات اجتماعية)

أنا أؤمن بالمقولة الشهيرة للزعيم مصطفى كامل: "ما استحق أن يُولَد مَن عاش لنفسه فقط"، وقد علمني والدي -رحمه الله؛ كما أسلفنا- من خلال مواقفه العفوية، وحبّه للعطاء والإيثار أني لا بد أن أعطي وأساعد كلّ مَن حولي، حتى لو لم يُطْلَب مني ذلك.

وقد كان في تواجدي في هذه البقعة من أرض الله فرصة كبيرة للتعرف عن كثب والعيش مع الفقراء والمحتاجين، وكان أول عهدي بالعمل التطوعي هو خروجي مع مجموعة من الأصدقاء لتوزيع المعونات على الفقراء والمحتاجين في الأماكن النائية البعيدة عن المدن والحضر.

وهناك رأيت كيف يعيش هؤلاء الناس في كهوف صغيرة وبسيطة لتكون مأوًى لهم من حرارة الشمس المحرقة أو برودة الشتاء القارص، ورأيت كيف يقضون حوائجهم في الخلاء.

وهنا تحرّكت كلّ مشاعر العطف، ومخزون العطاء الذي يكمن في داخلي؛ فبدأت في التفكير في عمل مشروع يخدم هؤلاء الناس وبشكل مباشر. ففكرت في استثمار الشيء الذي أفهم فيه وأتقنه وهو "الطب".

ولما كانت آلة الإعلام الغربي لا تكفُّ ليل نهار عن وَصْم المسلمين

بالإرهاب، وإلصاق كل التُّهَم بالباطل إليهم وإلى الدين الحنيف، ففكرت في رد إيجابي وبشكل عملي على هذه الافتراءات، فكانت فكرة إنشاء مؤسسة طبية إسلامية. وبذلك نكون ضربنا عصفورين بحجر واحد -كما يُقال-:

أولاً: خدمة الناس ورفع المعاناة عنهم قدر المُستطاع، وثانيًا: رد على افتراءات الغرب على الإسلام والمسلمين، وعمل دعاية إيجابية لنشر سماحة وجمال الدين الإسلامي وبشكل عملي بعيدًا عن الخطب والشعارات.

الجمعية الطبية الإسلامية بزيمبابوي

Islamic Medical Association of Zimbabwe (IMAZ)

فكانت فكرة إنشاء الجمعية الطبية الإسلامية بدولة زيمبابوي، وبدأت في العمل على تأسيسها.

وقد كنت مُعجبًا بما تقوم به بعض الكنائس من أعمال مشابهة بدعوة تبشيرية للدين المسيحي من خلال أعمال تطوعية في المجال الطبي.

وبالفعل تواصلتُ معهم، ومعظمهم أصدقاء وزملاء يربطنا كل حب واحترام، وسألتهم عن خبرتهم في هذا المجال. وقلت لهم في صراحة تامة: أنا مُعجَب بما تقومون به من أعمال خيرية، وأريد القيام بعمل مشابه لأمتي من المسلمين.

وقد وجدت منهم تعاونًا كبيرًا. وبدأت في عرض الأمر على الجهات الرسمية في البلد مثل وزارة الصحة، ونقابة الأطباء وغيرها، فعرضت عليهم فكرة

الجمعية وأهدافها، ووجدت منهم تعاونًا وترحيبًا كبيرًا.

لماذا الجمعية الإسلامية؟

ومن الأسئلة التي كانت تواجهني دائمًا في اجتماعاتي معهم هذا السؤال: لماذا تُطلِق عليها إسلامية؟ -رغم أن كل الجمعيات والمؤسسات التبشيرية تعمل تحت اسم وشعار كنائسها- لكني لم أرد عليهم بهذه الحجة، ولكن ألهمني الله -سبحانه- إلى إجابة شافية ووافية، وهي ليست بعيدة عن الواقع.

والحقيقة، وإن كان في أعماق نفسي -كما أسلفت- هو نشر سماحة الدين الإسلامي بشكل عملي وبدون خطابات أو شعارات. فقلت لهم: إن في عقيدتنا الإسلامية ركنًا أساسيًّا من أركان الدين وهو "الزكاة"، وشرحت لهم معنى الزكاة بشكل مبسط، وأنه لا بُدَّ على الفرد المسلم القادر أن يدفع جزءًا معلومًا ومحددًا بنسبة 2.5٪ على الأقل من أمواله سنويًّا، وهذه

الأموال تُستخدَم في مساعدة الفقراء والمساكين، مثل مشروعنا هذا، وهو ما قد يُشجّع أغنياء المسلمين على التبرُّع وتوجيه أموال زكاتهم أو جزء منها إلى مساعدتنا فيما نقوم به من أعمال.

رحمة الله للعالمين

وكان السؤال الثاني مباشرة هو: هل ستكون تلك الخدمات خاصة لفقراء المسلمين فقط دون غيرهم من المحتاجين؟، فكانت إجابتي والتي ألهمني الله إياها: أننا أتباع رسول كريم نعته الله -سبحانه- في كتابنا المقدس "القرآن الكريم"

بأنه رحمة للعالمين، وليس للمسلمين فقط، ونحن نسير على خُطا هذا الرسول الكريم لتكون خدماتنا للعالمين؛ أي: لكلِّ محتاج على أرض زيمبابوي مسلمًا كان أو غير مسلم.

وهكذا كان الارتياح العميق والاستبشار من الزملاء المسؤولين في الدولة، وبدأ التعاون الوثيق معهم -كما سنأتي لِذِكْر ذلك لاحقًا-.

خطوات عملية

في أكتوبر 2006م كان أول اجتماع للجمعية في منزلي، وفيه تأسَّس مجلس إدارتها، والذي شرفت برئاسته، وهكذا تأسَّست الجمعية، ووضع لها ميثاق عمل، وبدأنا العمل في تحويل الفكرة إلى واقع عملي.

عيادات الشفا

بدأت بعدها في التحرك نحو المسلمين في مدينة بولاوايو التي أعيش فيها، وقد وجدت الفكرة استحسانًا كبيرًا وحماسًا شديدًا منهم.

وبدأنا في التفكير في إنشاء مركز طبي واخترت له اسم "الشفا"، ووافقني عليه الجميع بعد شرح معناه، ومناسبته للمكان، وهدفه وهو شفاء الناس.

وبمساعدة العدد القليل من الزملاء المسلمين في المدينة، وهم: دكتور أيمن عامر، وزوجته دكتورة أمل عادل أحمد سركيس (مصريان)، دكتور شريف سرورو، دكتور داود باتي، دكتور محمد لونات (صيدلي)، دكتور حنيف باهدور (صيدلي) وهم جميعًا من الزملاء المحليين. وكذلك عدد كبير من المسلمين "غير

الأطباء" أذكر منهم:

- إسماعيل جينا Ismail Jina
- بشير فادي Bashir Vadde
- إسماعيل هاوا Ismail Hawa
- وزوجته عزيزة هاوا Aziza Hawa
- حسن إيزات Hassan Esat

وغيرهم من المسلمين الذين ساهموا بشكل كبير ومباشر في انطلاق هذا المشروع الذي بدأ بسيطًا وانتهى عملاقًا.

المصداقية والشفافية

لما كان الأمر سيكون فيه أموال تأتي وأموال تُصْرَف، كان لا بد من وَضْع نظام مُحْكَم وآلية للتعاملات المادية، فقمنا بفتح حساب في البنك باسم الجمعية، وتم تعيين ثلاثة محاسبين قانونيين (متطوعين من الجالية الإسلامية)، مهمتهم رَصْد ومراجعة كلّ وارد وصادر مع إعطاء تقرير نصف سنوي لمجلس إدارة الجمعية. وهو ما يُعطي الجمعية مصداقية، ويُظهر الشفافية في التعاملات.

يد الله فوق أيديهم

كانت بداية التفكير في تخصيص قطعة أرض ملحقة بأحد المساجد وبناء المركز الطبي عليها، لكن ذلك المقترح كانت تكلفته ستكون عالية جدًّا (قُدِّرت

بحوالي مائة ألف دولار أمريكي)؛ فبدأنا نبحث عن مكان نستأجره، ثم نحوِّله إلى مركز طبي، فكان من المعروض علينا عيادة كاملة التجهيزات مخصَّصة للكشف على العمال في المصانع ومتابعة حالتهم الصحية(Industrial clinic)، وكان بها أجهزة كثيرة للكشف عن قوة السمع وكفاءة الرئتان وغيرها.

وكانت صاحبتها تعرضها للبيع بأجهزتها بمبلغ خمسين ألف دولار أمريكي، وهذا أيضًا لم يكن في مقدورنا تحصيله.

واستمر البحث ثم البحث، وأنا كلي ثقة أن الله –سبحانه– سيجعل لنا مخرجًا.. حتى كان اليوم الذي اتصلت فيه السيدة صاحبة العيادة، لتخبرنا أنها راجعتْ نفسها، وأنها تريد الآن خمسة آلاف دولار فقط.

وإن كنت لا أعلم ما سبب تحوُّلها هذا، هل كان المبلغ المطلوب أولاً مُبَالَغًا فيه؟ أم ماذا حدث؟ لا أدري. ولكني شعرتُ وقتها أن الله –سبحانه– قد فتح لنا أبواب رحمته، وأن يد الله فوق أيدينا.

ولقد كان في مقدوري أن أدفع المبلغ كاملاً، ولكني أردت أن يساهم المسلمون في المدينة ولو بمبالغ يسيرة، حتى يشعروا أن المشروع مشروعهم جميعًا وليس مشروع "حسن عشماوي" – كما قلت لهم –.

فبدأنا في التحدث إليهم، وخاصة الأغنياء منهم، والحمد لله حصلنا على جزء كبير من المبلغ المطلوب، وقمت باستكمال باقي المبلغ، وتم شراء المكان بما فيه من أجهزة، بالإضافة إلى سيارة كانت تابعة للعيادة تُستخدم في التنقل وزيارة المصانع

للكشف الدوري على العمال.

وكان هذا فضلاً كبيرًا من الله -جل وعلا-؛ حيث إن هذه العيادة الصناعية تعمل وتُدِرّ أموالاً، وهو ما سيفيد في تمويل مشروعاتنا الخيرية. هكذا كان فضل الله علينا عظيمًا.

الافتتاح

في يوم 16 يناير 2007م، وقد تصادف أنه يوم مولدي، أي بعد حوالي أربعة أشهر فقط من البحث والتحضير كان يوم افتتاح أول عيادة "عيادة الشفا" في مدينة بولاوايو، وهي أول مشروعات الجمعية الطبية الإسلامية، وأول عيادة إسلامية في زيمبابوي، وهكذا كانت البداية.

ولن أستطع أن أصف لكم كيف كانت سعادتي بهذه البداية، وكيف كانت الدموع تنهمر من مُقلتي، وكيف كانت الفرحة والسعادة التي غمرت قلوب كل المسلمين في المدينة، والذين تمت دعوتهم جميعًا لحضور هذا الحدث التاريخي. فكم كان افتتاحًا بهيجًا تحفُّه كثير من الخيرات.

ولله المنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

مشروعات الجمعية

أهداف الجمعية

لقد وضعت أهدافًا واضحة للجمعية لتكون نبراسًا لمن سيأتي من بعدي، وهذه الأهداف كانت تتمحور في ثلاثة محاور:

- أولاً: أهداف على المدى القصير (short term).

- ثانيًا: أهداف على المدى المتوسط (Mid Term).

- ثالثًا: أهداف على المدى البعيد (long term).

*** أما أهداف المدى القصير: فكانت تتمثل في الآتي:**

1- الترتيب لعمل قوافل طبية نذهب بها إلى حيث الفقراء والمحتاجين، وتقديم الدعم الطبي لهم من كشفٍ وعلاجٍ، وخلافه بالمجان.

2- إجراء عمليات الختان للذكور(الطهارة).

3- قوافل للعيون: كشف وإجراء جراحات مياه بيضاء وخلافه.

*** أما أهداف المدى المتوسط:**

فكانت تتمثل في إنشاء "مراكز الشفا"؛ على غرار الشفا في بولاوايو، وتعميم الفكرة في جميع محافظات ومدن زيمبابوي، وهذه العيادات أو المراكز تُعنَى بتقديم الخدمات الطبية اليومية بأجور رمزية للعامة، أما الفقراء منهم والمحتاجون فتُقَدَّم لهم هذه الخدمات بالمجان.

*** أما أهداف المدى البعيد:**

فتتمثل في إنشاء مستشفى تخصصي عالي الجودة في تخصصات دقيقة جدًّا، لا مثيل لها في الدول المجاورة، تخدم دولة زيمبابوي والدول المحيطة، وتحمل اسم "الشفا"، وتحت مظلة جمعيتنا، وكنت أتمنى أن أرى ذلك في حياتي، ولو أنه صعب المنال.

إنجازات تحقَّقت على أرض الواقع

لقد تعودتُ في مُجمل حياتي أن ثقتي في الله لا حدود لها، وأنه -سبحانه- قادر على كل شيء، وأنه يُحدث ما نُسميه "بالمعجزات"؛ فتتحقق أشياء قد تبدو مستحيلة، ولكن لَمَّا كان الأمر بيد الله فهو سهلٌ ويسيرٌ؛ لأنه القادر على أن يقول للشيء كن فيكون.

وهذا الإيمان الراسخ في أعماقي كان سببًا في إقدامي دائمًا على عمل أشياء تبدو مستحيلة أو صعبة المنال، كما حدث في مشروعنا هذا؛ فقد بدأت التفكير فيه، والبلد يمر بأزمة اقتصادية طاحنة والأوضاع غير مستقرة.

وكان الناس ينظرون إليَّ في إشفاق وكأن لسان حالهم يقول: أفي ظل هذه الظروف الصعبة يتم التفكير في هكذا مشروعات كبيرة؟

وقد أثبتت الأيام والأحداث أن الله -سبحانه- دائمًا يفتح أبواب رحمته على مَن يشاء مِن عباده، لكن لا بد من القيام بالعمل الجاد والاجتهاد مع التخطيط السليم قدر المُستطاع. كما يفعل المزارع في وضع البذرة والعناية بالزرع وعمل كل جهد في مراعاتها والعناية بها، ويترك ما بقي في يد الله، فتكبر الزرعة وتنمو وتُثمر وتُخرج من الأرض ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، كل ذلك بيد الله ومن خيرات الله ولا دخل لإنسان فيه.

وهذا ما حدث في مشروعنا المتواضع، وسأقصُّ لكم كيف بدأ، وكيف صار وكيف أصبح الآن. ولله المَنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

أولاً: إنجازات المدى القصير

فيما يلي سنذكر ملخص ما تمَّ إنجازه من أهداف المدى القصير.

1 - القوافل الطبية

لم تكن الإمكانيات المادية المحدودة عائقًا في أن نبدأ العمل، وكان إصراري دائمًا هو أن نبدأ بما لدينا من إمكانيات، وإن كانت متواضعة، ونتوكل على الله، وكلي إيمان ويقين أن الله –سبحانه– سيجعل لنا مخرجًا.

وقد كان... فقد كانت البداية بقافلة طبية محدودة، استطعنا خلالها الكشف وتقديم العلاج المجاني لعدد محدود –حوالي ثلاثين مريضًا–، وكان ذلك في مدينة بولاوايو؛ حيث إننا لا نملك ما يساعدنا للسفر خارج المدينة.

وتستمر القوافل، وتأتي المعونات والمساعدات من حيث لا نحتسب؛ إما من أفراد من رجال الأعمال المسلمين في البلد أو شركات أدوية. وكل ذلك من خلال نظام مصرفي دقيق ومُراقَب –كما أسلفت –.

واليوم وبعد ثلاثة عشر عامًا –وقت كتابة هذه السطور– تم علاج ومساعدة ما يقرب من خمسة وستين ألف (65000) مريض، في حوالي 65 معسكرًا بمتوسط ألف مريض في كل معسكر بالكشف وتقديم العلاج أو إجراء جراحات إذا لزم الأمر، وكل ذلك بالمجان. واستطعنا –بفضل الله– الوصول إلى معظم

مدن وقرى زيمبابوي، وكل ذلك تحت شعار – رحمة للعالمين – الشعار الذي اتخذناه لنا وهو مطبوع على كل جاكت يرتديه كل أفراد الفريق من أطباء وصيادلة وممرضين ومساعدين.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

كارت الشفا

ولمساعدة المحتاجين؛ قررنا عمل "كارت الشفا"، على غرار كروت التأمين الصحي، يحمله المُنتفِع بعد عمل فحص دقيق لحالته الاجتماعية وأنه مُؤَهَّل للحصول على هذا الكارت، وبموجبه يستطيع الحصول على خدمات طبية من عيادة الشفا من كشف وعلاج وخلافه بالمجان.

شكر واجب

وهنا لابد أن أشكر الأخ حكيم أساني (Akim Asani)؛ الذي قام بجهد كبير في هذا المشروع.

2 - قوافل العيون (Eye Camps)

أما المشروع الثاني من مشاريع "المدى القصير"؛ فكان التفكير في عمل معسكر أو قوافل عيون (Eye Camps)، وإجراء جراحات المياه البيضاء للمرضى الذين لا يقدرون على تكاليف هذه الجراحة. وخاصةً أن المياه البيضاء مرضٌ منتشر هنا، ويعتبر أحد الأسباب الرئيسية لفقدان البصر.

وكما كان الحال مع القوافل الطبية، لم يكن لدينا من المال لعمل معسكر كبير.

فقررنا عمل معسكر صغير بما لدينا من إمكانيات متواضعة.

واستطعنا -بفضل الله- عمل أول معسكر للعيون وإجراء جراحات المياه البيضاء لعدد محدود من المرضى -حوالي ستة عشر مريضًا-.

وهنا لا بد من توجيه الشكر للدكتورة أمل عادل أحمد ساركيس وهي استشارية رمد مصرية وزوجها دكتور أيمن عامر استشاري أنف وأذن وحنجرة. وقد ساعدتنا دكتورة أمل وقامت بجهد كبير في الترتيب والتحضير لهذه العمليات وإنجاح هذا المشروع، والشكر موصول بالطبع لزوجها الدكتور أيمن.

وهكذا كانت البداية... ولأني مقتنع تمامًا أنه لا بد من أخذ الخطوة الأولى، ولو كانت خطوة قصيرة أو محدودة التأثير، ولكن لا بد لها أن تبدأ، فكما يُقال: "مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة"؛ هكذا كانت البداية، ثم بعدها بدأ الفيض الإلهي يتدفق علينا؛ فقد تواصل معنا بعض المؤسسات الدولية الخيرية التي تُعْنَى بهذا الشأن (إجراء جراحات المياه البيضاء) وعرضوا إقامة معسكرات عيون مجانية معنا.. وينهمر الخير فجاء المعسكر التالي ليخدم 200 مريض والذي يليه يخدم 500 مريض، ثم الذي يليه ليخدم 750 مريضًا.

والحمد لله الآن -وحتى كتابة هذه السطور- تم إقامة 20 معسكر عيون، تم خلالها فحص حوالي 25000 مريض وإجراء جراحات ناجحة لحوالي 3000 مريض في مدن زيمبابوي المختلفة.

وهذا المشروع بالذات كان له صدًى واسع وترحيب واستحسان من الدولة على المستوى الرسمي والشعبي، خاصةً من المرضى الذين فقدوا بصرهم،

واستعادوا القدرة على الإبصار الآن.

ولما كنا نخدم المسلمين وغير المسلمين، وبالطبع كان السواد الأعظم من المنتفعين من غير المسلمين؛ من هنا كان الترحيب والاستحسان.

التواجد الإعلامي

دائمًا هذه المشروعات الكبيرة تجذب الإعلام بكل أشكاله من إذاعة وتليفزيون وصحف ومجلات. فكان دائمًا هناك تواجد إعلامي مُكثف لتغطية هكذا فعاليات.

وأنا بطبيعتي أخشى الظهور والشهرة، فكنت دائمًا أحاول البُعد عنهم وتصدير أحد الزملاء لإجراء هذه المقابلات. ومن طرائف الأمور، أني أثناء تواجدي لمتابعة العمل بأحد هذه المعسكرات وجدت أحد الصحفيين واقفًا إلى جواري وهو يسألني: لو سمحت ممكن تدلنا أين نجد دكتور عشماوي؟ فقلت له: أنا عشماوي، فرد عليَّ: لماذا تهرب منا؟ ففي كل حوار أو لقاء مع أحد الزملاء نلاحظ أن اسمك يتردد، وأنك العقل المدبر وراء هذه المشروعات والفعاليات؛ فقررنا البحث عنك وإجراء حوار معك!!

وهنا كان لا مفر، ولن أستطيع الهروب منهم. فقلت: أنا موجود وتحت أمركم، وتم إجراء لقاء صحفي وتليفزيوني معي.

رحمة الله للعالمين

لقد صممنا جواكت (Vests) مكتوب على ظهرها اسم الجمعية Islamic Medical Association of Zimbabwe، ومن الأمام مكتوب عليه الشعار

الذي اتخذناه لأنفسنا وهو (رحمة للعالمين: Mercy to Mankind).

فلما كان اللقاء التلفزيوني وجدت المصور يقترب بالكاميرا، ويعمل زووم على وجهي، فقلت له مازحًا: وجهي ليس بكل هذا الجمال، هناك شيء أجمل كثيرًا من وجهي، فلو دخلت بالكاميرا على هذا الشعار لكان أجمل وأحسن. فلما دخل بالكاميرا على الشعار قال لي متسائلاً: ما معنى "رحمة للعالمين"؟ فقلت له: هذا رسولنا الذي وصفه الله في كتابنا المقدس "القرآن الكريم" بأنه رحمة للعالمين، لكل العالمين ونحن نتبع خطاه ونقدّم خدماتنا لجميع العالمين مسلمين وغير مسلمين.

هكذا كان زرع حبّ الناس للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ بشكل عملي وبسيط.

بعض ردود الأفعال

على المستوى الرسمي:

كان كثير من الساسة كوزراء ومحافظين وأعضاء في البرلمان على تواصل معنا، ويُبدون كثيرًا من الشكر والامتنان.

ولقد كانت المفاجأة الكبرى لما وجدتُ أحدهم يتصل بي أثناء فعاليات المعسكر، ويقول: هذا مكتب رئيس الجمهورية، وأن سيادته قد سمع عنكم وعن أنشطتكم، وهو مُمتنٌّ جدًّا لما تقومون به من خدمات.

فشكرتُ له على هذه الرسالة الطيبة، وطلبت منه أن ينقل تحياتي وتحيات فريق العمل لسيادته، وقد كانت سعادتي وسعادة فريق العمل كبيرة جدًّا بهذه اللفتة

الطيبة من رئيس الجمهورية.

على المستوى الشعبي:

كنا نسمع ونرصد كثيرًا من التعليقات من الناس الذين يُبدون كل ترحاب واستحسان وشكر لهذه الأعمال، والتي تأتي منهم بعفوية وتلقائية شديدة منها:

- من يقول: أشكر لكم صنيعكم، فهذه حفيدتي في الرابعة عشرة من العمر واليوم أراها لأول مرة.
- وبعضهم يقول: أنا مُمتنٌّ جدًّا لما تقومون به من أعمال، ولم أكن أعلم أن المسلمين يقومون بمثل هكذا أعمال.. كأنما يريد أن يقول: إن المسلمين يقومون فقط بأعمال إرهابية وتخريبية، أما مثل هذه الأعمال الخيرية فلم نعهدها من المسلمين. وهذا بفعل آلة الإعلام الموجهة كل الوقت -كما أسلفنا-.

ومع سماع هذه التعليقات كنت دائمًا أحمد الله، وأسجد له شكرًا، فقد نجحنا وبحمد الله في هدفنا، وهو نشر حقيقة الإسلام من الحب والسماحة وخدمة الإنسانية، ودحض دعاوى الغرب الظالمة والمُضللة عن الإسلام والمسلمين.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

3 - عمليات الطهارة (ختان الذكور: circumcision)

كما هو الحال في المشروعين السابقين بدأنا في عمليات ختان الذكور بالمجان خاصة بين المسلمين الذين لا يقدرون على تكلفة هذه العملية، فهي سُنَّة وتُجرَى

بشكل تقليدي بين المسلمين -كما هو معلوم للجميع-.

فكان أول معسكر، ونظرًا لضيق الإمكانيات المتاحة والتي لم تكن حائلاً في أن نقوم بما ننتوي عمله -كما كان حالنا مع المشروعين السابقين-؛ فبدأنا بأول معسكر واستطعنا إجراء عملية الختان لعدد محدود من الأطفال -حوالي خمسة عشر طفلاً فقط-، وذلك لضعف الإمكانيات -كما أسلفنا -.

وتتوالى الفتوحات

واستمر بنا الحال هكذا؛ نقوم بإجراء الجراحة لأعداد محدودة من الأطفال (من 15-20) في كل مرة حسب ما يتوفر لدينا من إمكانيات، حتى كانت المعجزة...

فقد قررت منظمة الصحة العالمية دعم عمليات ختان الذكور، لِما وجدت فيه من فوائد صحية كثيرة، وأنه يساعد وبشكل كبير على الحد من انتشار الأمراض التناسلية، والتي تنتقل عن طريق العلاقات الجنسية، وكذلك الحال بالنسبة لمرض الإيدز.

ومن ثَمَّ دعمت منظمة الصحة العالمية وزارة الصحة الزيمبابوية، ورصدت لهم مبلغًا كبيرًا من المال لتمويل حملة كبيرة لختان الذكور، وتم إنشاء مراكز عديدة في كل مدن ومحافظات الدولة وتجهيزها للقيام بهذه العمليات.

وكان عليهم القيام بإجراء أكبر عدد من عمليات الختان ليحققوا الرقم المطلوب منهم سنويًّا، والذي رُصِدَتْ له هذه الأموال. فلما تعذَّر عليهم الوصول

إلى الأرقام المطلوبة بدأوا في التفكير في جمعيتنا على أساس أننا كمسلمين نقوم بهذه العمليات بشكل دوري وعندنا قوائم انتظار طويلة تُغطي هذه الأعداد وزيادة، فتواصلوا معنا للمساعدة والتعاون.

وهنا شكرت لهم هذا العرض، وكان التعاون معهم فأصبحنا نقوم بإجراء ما بين 100 إلى 150 حالة في كل معسكر مستخدمين إمكانيتهم والمراكز التي أُنشئت لهذا الغرض -كما أسلفنا -.

وكل ذلك تحت شعارنا "رحمة للعالمين"، وبدون أن نتكلف أيّ شيء، بل على العكس كان الترحاب والاستحسان من الحكومة ممثلة في وزارة الصحة لقيامنا بهذا العمل الكبير والترتيب والإعداد له.

وقد سافرت مع القوافل للعديد من المحافظات لإجراء هذه العمليات والإشراف على الأطباء الذين يقومون بها. وحتى كتابة هذه السطور قمنا بعمل أكثر من خمسين معسكرًا تم خلالها إجراء أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة جراحة في مختلف مدن ومحافظات زيمبابوي.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

4 - مشروعات وفاعليات أخرى

بالإضافة إلى ما سبق من مشروعات رئيسية قمنا بها وما زلنا، كان هناك بعض المشروعات التي استُحدثت ولم تكن في خطتنا، ولكن الحاجة وبعض المستجدات التي طرأت على المجتمع الذي نعيش فيه ونتعايش معه مما جعلنا نتفاعل ونشارك في بعض هذه المشاريع ومنها:

- حملات التبرع بالدم:

فقد قمنا بعمل حملات للتبرع بالدم تحت إشراف جمعيتنا، والحمد لله، قمنا بعمل حوالي 7 حملات تم خلالها تحصيل حوالي 300 وحدة (كيس) دم والتبرع بها إلى بنك الدم الوطني.

- حملات للتوعية:

نقوم بعمل محاضرات عامة للتوعية من أخطار ومشاكل بعض الأمراض منها:

* يوم لمرضى السكر، وندعو فيه متخصصين للحديث وتوعية الناس.

* يوم للإيدز، ونقوم فيه بتوعية الناس من هذا المرض، ومشاكله، وطرق الوقاية منه

- التواجد والمساعدة في حالات الكوارث الطبيعية وانتشار الأوبئة:

فقد قامت الجمعية بالتعاون مع وزارة الصحة في الاشتراك في فعاليات منها:

- في أثناء تفشى وباء الكوليرا؛ وذلك بالتبرع بالأدوية والمحاليل وخلافه، والمشاركة في القوافل الطبية التي تُخصَّص لمحاربة ذلك الوباء.
- في حالة حدوث بعض الكوارث الطبيعية كما حدث في إعصار إيديا الذي ضرب جزءًا كبيرًا من البلاد؛ فقمنا بالمساهمة بعمل قوافل طبية بالاشتراك مع نقابة الأطباء ووزارة الصحة، والتبرع بالأدوية والمستلزمات الطبية.

- وحديثًا مع تفشي وباء كورونا نقوم بعمل حملات توعية ومساعدة المصابين قدر الإمكان.

والحمد لله كل هذه الأنشطة تتم تحت شعارنا "رحمة للعالمين"، ودائمًا تلقى ترحيبًا واستحسانًا من الحكومة ومن عامة الشعب، كما هو الحال في كل ما نقدّمه من خدمات.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

ملاحظات عامة

في كل ما سبق من مشروعات وفاعليات، كنت أتعمد إشراك أكبر عدد من المسلمين، وألا يقتصر الأمر على أعضاء الجمعية فقط حتى يشعر الناس أنها عمل إسلامي، وتصل الرسالة التي نريدها إلى العامة عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ.

ولتعظيم ذلك كنا نقوم بعمل الآتي:

1 - صممنا جواكت -كما أسلفنا- مكتوب عليها اسم الجمعية من الخلف وشعارنا "رحمة للعالمين" من الأمام. ونعطي كلّ مَن يشترك معنا جاكت يرتديه أثناء الفاعليات، هذا بالإضافة إلى أعضاء الجمعية بالطبع؛ فهم يرتدونه طوال فترة الفاعليات، والتي قد تستغرق عدة أيام -كما هو الحال في معسكرات العيون -.

2 - وضع لافتات عليها اسم الجمعية وشعارها في عدة أماكن بارزة من موقع

الحدث، بحيث يسهُل على أي إنسان ملاحظتها أثناء دخوله وخروجه من المكان.

3- كنت دائمًا أحرص على عمل اجتماعات تحضيرية قبل أي فعالية، ويحضرها أعضاء الجمعية مع بعض اللاعبين الأساسيين من الجالية الإسلامية في البلاد لتنظيم العمل:

- فكنا نحدّد مهام لكلّ واحد ليقوم بها، كتنظيم حركة المرضى، وتجهيز المأكولات الخفيفة والعصائر للمرضى ومرافقيهم. وكنت دائمًا أحرص على إشراك الشباب لأزرع فيهم روح العمل الجماعي وحبّ الدين والتطوع لخدمة المجتمع.

- إذا كانت الفاعليات ستستغرق أكثر من يوم كما في حالة معسكرات العيون؛ كنا نقوم بعمل نوبتجيات أو ورديات، وتحديد شخص أو اثنين ليكون مسؤولاً عن العمل في هذه القترة مثلاً: فترة من 8 صباحًا حتى 12 ظهرًا، ثم فترة أخرى بفريق آخر من 12 إلى 4 بعد الظهر وهكذا. وعلى الشخص المسؤول أن يقوم باختيار فريق العمل الذي سيعاونه في تلك الفترة، وبالطبع الباب مفتوح لأي متطوع خارج هذه القائمة أن يأتي ويقدّم خدماته، ولكن من خلال النظام الموضوع.

- كنت دائمًا أحرص على التواجد في موقع الحدث معظم الوقت للتأكد من أن كل شيء على ما يُرَام وتذليل العقبات وحلّ المشكلات التي قد تواجه الفريق.

4 – القيام بعمل دعاية في كل مرة قبل الحدث بوقتٍ كافٍ، حتى يعلم الناس مكان وزمان المعسكر، وما سوف يُقدِّمه من خدمات، وكنا نستخدم لذلك وسائل عدة؛ منها:

* وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك والواتساب، وغيرها.

* استخدام المساجد والكنائس ودور العبادة الأخرى، فيقوم الأئمة في المساجد والقساوسة في الكنائس بالإعلان عن ذلك عقب الصلاة.

* التواصل مع بعض الإذاعات والصحف المحلية، وخاصة التي تستخدم اللغات المحلية كالشونا والإنديبلا، والإعلان من خلالها عن الحدث القادم.

5– هكذا كنا نقوم بعمل كل ما نستطيع من ترتيبات وتجهيزات لإنجاح أيّ مشروع. وفي كل مرة وبعد الانتهاء من فاعليات ذلك المشروع نعقد جلسة لدراسة ما تم إنجازه، وإن كان هناك أيّ سلبيات أو نقاط ضعف لنتداركها في المرات القادمة.

6 – وحتى يكون العمل مؤسسيًّا –لا يعتمد على وجود أشخاص بعينهم–؛ فقد قمنا بتدوين مذكرة لكل مشروع، وكتابة ما يلزم وما يجب عمله قبل وأثناء وبعد كل مشروع.

وهذا ليكون ميثاق عمل لمن سيأتي من بعدنا.

والآن –وقت كتابة هذه السطور– معظم الفاعليات والمشاريع تتم بسهولة ويُسر في جميع أرجاء الدولة، دون الحاجة إلى وجودي بشكل شخصي. وهنا لا بد

أن أكرّر شكري للأخ حكيم أساني الذي قام بجهد كبير في إعداد هذه الوثائق.

وهكذا -أحبابي- لا بد أن يكون العمل جادًّا ومنظمًا ومدروسًا بكلِّ دقةٍ من جميع جوانبه، ليكون النجاح والاستمرارية هو الناتج الطبيعي لهذه المشروعات.

ولله المِنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

ثانيًا: إنجازات المدى المتوسط

لقد كان هدفنا على المدى المتوسط هو إنشاء مراكز طبية إسلامية؛ "الشفا كلينك" -على غرار ما تم إنشاؤه في بولاوايو- في كل مدن ومحافظات دولة زيمبابوي. وقد عملنا بجهد واجتهاد لإقامة هذه المراكز؛ لما لها من أهمية في خدمة الناس، ودعوة للدين الإسلامي.

وقد راعينا أن يكون الشعار موحدًا والخدمات موحدة في كل فرع، وكلهم يحمل نفس الاسم "الشفا كلينك".

أما بالنسبة للعملية الإدارية فيكون هناك لكل فرع مجلس إدارة، وله حساب بنكي خاص به. على أن تكون كل الحسابات والتعاملات المادية مُرَاقَبَة، وأن يعمل هذا المجلس بحُرِّيَّة كاملة لتفادي المركزية وتكون لديه الحرية في اتخاذ القرار على أن يقدم تقريراً سنويًّا للجمعية العمومية في اجتماعها السنوي.

والحمد لله، وحتى وقت كتابة هذه السطور نجحنا في إنشاء ثلاث مراكز أو فروع للجمعية:

- في بولاوايو: وهو أول مركز ونقطة الانطلاق.

- في هراري: العاصمة.

- في كويكوي: وهي مدينة تقع بين هراري وبولاوايو.

وجارٍ العملُ والإعداد لإنشاء ثلاثة مراكز (فروع) أخرى في مدينة موتاري، وماسفنجو، وتشينوي. وإذا نجحنا في ذلك نكون قد وُفِّقنا في تغطية أكثر من 90٪ من مدن ومحافظات دولة زيمبابوي. والله الموفِّق والمستعان.

ما تحقق على أرض الواقع

1 - مدينة بولاوايو [المركز الرئيسي]:

وهي ثاني أكبر مدينة في البلاد، وهي المدينة التي أعيش فيها وأعمل بها، وفيها نشأت فكرة الجمعية، وقد أسلفنا كيف تم إنشاء أول مركز "الشفا كلينك"؛ الذي كان بداية ونقطة انطلاق للمشروع الكبير. وقد أصبح هو مقر المركز الرئيسي للجمعية. وقد تطور العمل به حيث استمر يقدّم الخدمات لعمال المصانع المحيطة -كما كان من قبل- إلى جانب تقديم الخدمات الطبية اليومية، وبأجور رمزية، مع مراعاة تقديم هذه الخدمات بالمجان للحالات التي أشرنا إليها من الفقراء والمحتاجين.

أما العيادة الصناعية (Industrial Clinic)؛ فكانت مصدر دخل جيد؛ حيث إن المصانع تدفع الأجر المعتاد مقابل متابعة وعلاج العمال العاملين بها.

وقد تم الاستفادة من بعض الغرف بها، وتحويل إحداها إلى عيادة أسنان، وقد أكرمنا الله بتجهيزها، وساعد في ذلك ما تبرع به أحد أطباء الأسنان الذي هاجر إلى أستراليا؛ دكتور محمد نظير، الذي تبرع بالأجهزة، وقد قام أحد رجال الأعمال بالتكفل بتجهيزها، وأصبحت تشكل دخلاً إضافيًّا يخدم مصاريف العيادة، وما تقوم به من خدمات.

وهنا لا بد من شكر واجب إلى الدكتور سرورو؛ الذي أخذ على عاتقه إدارة المركز ومتابعته وهو ما يزال قائمًا عليه حتى كتابة هذه السطور، هذا بالإضافة إلى متابعة إنشاء وعمل المراكز الأخرى -كما سيأتي ذكره لاحقًا-.

2 - مدينة كويكوي

وهي مدينة صغيرة تقع بين بولاوايو وهراري، وعدد سكانها محدود مقارنةً ببولاوايو وهراري. وكذلك نسبة المسلمين بها قليلة جدًّا، ولكنَّهم يتميزون بالحماس وحبّهم الشديد للدين ولرسول الله ﷺ.

وقد سافرت إليهم مع مجموعة من الزملاء، وعرضنا عليهم فكرة المشروع، وكانت الاستجابة سريعة جدًّا، أسرع مما كنا نتخيل. فقد كان هناك مركز للإسعاف به سيارة إسعاف وطاقم تمريض تُديره ممرضة مسلمة، فوافقت على تحويله إلى "عيادة الشفا" مع الإبقاء على مركز الإسعاف على ما هو عليه.

ولم يأخذ الأمر وقتًا كثيرًا حتى تم إعداده، ووضع اللافتات الخاصة بالجمعية عليه، وبدأنا العمل به على غرار مركز بولاوايو في تقديم الخدمات الطبية إلى أهل المدينة بأجور رمزية، وكذلك مساعدة الفقراء والمحتاجين بتقديم تلك الخدمات مجانًّا. وقد قمنا بإجراء عدة معسكرات طبية هناك، وهو ما لاقى إقبالاً واستحسانًا من أهل المدينة.

وبعدها تبرَّع أحد المسلمين بمنزل له يمتلكه للجمعية، وتم تجهيزه وإعداده ليكون مركزًا للشفا، وانتقلنا إلى المكان الجديد، وقمنا بافتتاحه وحضر الافتتاح

محافظ وعمدة المدينة. وكان ذلك فاتحة خير كبير؛ لأن هذا المكان الجديد يقع في وسط المدينة وموقعه متميز جدًّا، وهو ما زاد من الإقبال عليه.

واستمر المركز في تقديم خدماته المعتادة، وقمنا كذلك بدعمه بزيارات متتالية وإقامة معسكرات طبية للكشف وإعطاء العلاج بالمجان، والحالات التي تحتاج إلى جراحة يتم تحويلها إلى بولاوايو؛ حيث نقوم بإجراء الجراحات اللازمة بالمجان.

وهنا لا بد من شكر واجب إلى مجموعة المسلمين في هذه المدينة، الذين رغم قلة عددهم إلا أنَّهم يحملون الكثير من النشاط وحبّ العطاء وحبّ الدِّين وخدمته. والشكر موصول إلى دكتور سرورو الذي بذل جهدًا كبيرًا في إنشاء وتشغيل هذا المركز؛ بارك الله فيهم أجمعين.

3 - الفتح الأكبر: مدينة هراري

لقد قمت مع مجموعة من الزملاء بزيارة للعاصمة "هراري"، وهناك عرضنا فكرة الجمعية على الزملاء وعدد من مسلمي المدينة، وكان ذلك بعد أقل من عام من بداية المشروع في بولاوايو، وقبل عرضه في كويكوي. ولكنَّ الأمر احتاج إلى كثيرٍ من الوقت والجهد -حوالي ثلاث سنوات- حتى نجحنا في إنشاء "مركز الشفا" في هراري. وقد سخَّر الله لنا بعض الزملاء وبعض المسلمين في المدينة من غير الأطباء الذين تحمسوا للمشروع، وبدأ العمل فيه. وهو على غرار بولاوايو وكويكوي يقدم خدمات طبية بشكل يومي بأجور رمزية مع مراعاة الفقراء

والمحتاجين الذين يتلقوا الخدمات مجانًا.

وهو يُدار الآن بكل حِرَفِيَّة، وحقَّق نجاحات كثيرة. فقد قاموا بعمل قوافل طبية للكشف على المرضى وعلاجهم بالمجان. وكنت في كثير من الأحيان أسافر إلى هراري -تبعد حوالي 450 كم عن بولاوايو- لتقديم العون والمشورة في عمل هذه القوافل.

وكلَّما مرَّ الوقت ازداد الناس ثقةً في المشروع، ومِن ثَمَّ تزيد المساعدات والتبرعات؛ حيث إن معظم رجال الأعمال الكبار من المسلمين يعيشون في العاصمة هراري.

ومما يُحسَب للزملاء في هراري أنَّهم طوروا في أداء الجمعية، وقاموا بعمل مشروعات أخرى بالإضافة إلى المشروعات الأساسية، فقد قاموا بالقيام بحملة التبرع بالدم، ويوم لمرضى السكر، وغيرها، هذا بالإضافة إلى القوافل الطبية ومعسكرات العيون وغيرها. وقد تبنَّت الفروع الأخرى هذه المشروعات المستحدَثة.

ولقد اعتبرت دخول هراري في المنظومة فتحًا كبيرًا، لما فيها من إمكانيات مادية وبشرية. والحمد لله مستمرين من نجاح إلى نجاح.

مستشفى الشفا

ومازلنا في هراري والفتح الأكبر. ففي منطقة من المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، وهي في محيط العاصمة، وتبعد عن وسط المدينة بحوالي 15كم،

وهذه المنطقة تُسمى هاتكليف (Hatcliffe)؛ فقد قام أعضاء الجمعية في هراري بشراء قطعة أرض من البلدية وتم تخصيصها لبناء مستشفى صغير "مستشفى الشفا"؛ لخدمة أهل هذه المنطقة. وقد سافرت إلى هراري مع بعض الزملاء لوضع حجر الأساس لهذه المستشفى، والحمد لله تم الانتهاء من البناء -وقت كتابة هذه السطور- وباقي الإعداد وشراء الأجهزة والمستلزمات الطبية لتجهيزها.

وستشمل الخدمات التي ستقدمها هذه المستشفى:

- عيادة لأمراض النساء ومتابعة الحمل.
- عيادة للأطفال ومتابعة التطعيمات.
- عيادات عامة للباطنة والجراحة، وخلافه من التخصصات المختلفة.
- عيادة للأسنان.
- عيادات للتغذية والتوعية الغذائية.
- عيادات لمرضى الإيدز.

وستُقَدَّم هذه الخدمات بأجور رمزية، مع الأخذ في الاعتبار حاجة المرضى الذين لا يقدرون على شيء.

وقد أُعدت هذه المستشفى لتكون صالحة للاستعمال في تنظيم قوافل طبية ومعسكرات عيون وغيرها من الأنشطة.

وقد تم تشكيل لجنة خاصة لمتابعة هذا المشروع فنيًّا وإداريًّا وماليًّا. على أن

تُراجع الحسابات وتُعتمَد من مكتب محاسبة مستقل في نهاية العام، لتعرض على الجمعية العمومية في اجتماعها السنوي؛ وذلك لضمان المصداقية والشفافية في التعاملات.

وهكذا أعزائي، كما ترون أن الشجرة تكبر وتكبر، ويزداد نتاجها وثمارها.

ولله المِنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

ثالثًا: مشروعات المدى البعيد

أما هذه المرحلة من المشروع؛ فقد وضعنا لبنتها، وقد تحتاج إلى جهد وإعداد وتمويل كبير ولكن -كما أسلفنا - أن مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة.

فقد فكرت في إنشاء مركز لزراعة الأعضاء ويحمل اسم "الشفا"، وتابع للجمعية الطبية الإسلامية. وهذا المشروع العملاق لا يوجد له مثيل في الجنوب الإفريقي كله –ما عدا جنوب إفريقيا–، لذلك فكرت فيه، وبدأنا خطوات عملية نحو تحقيقه.

فقد حضرت في القاهرة مؤتمرًا دوليًّا لزراعة الأعضاء، وقد اصطحبت معي بعض الأطباء الزيمبابويين المتخصصين في أمراض الكلى وزراعة الأعضاء. وفي هذا المؤتمر تم تدشين الجمعية الإفريقية لزراعة الأعضاء، وأصبحت دولة زيمبابوي عضوًا مؤسِّسًا فيها.

وبدأنا في الاتصالات لإنشاء هذا الصرح العملاق وهي تتمحور في محورين:

- محور فني: وهو الترتيب لتدريب الكوادر من أطباء وممرضين.
- محور إنشائي: خاص بمسائل التخطيط والإنشاءات.

ونسعى أن نقوم بهذا المشروع على مراحل تبدأ بإنشاء مركز لزراعة الكلى، ثم

يليه مركز آخر لزراعة الكبد... وهكذا.

وفي الوقت الحالي نتشاور مع المسئولين في الحكومة لتخصيص قطعة أرض لإنشاء هذا المشروع، ثم نبدأ في البحث عن الدعم الفني والمادي.

وهذا المشروع العملاق، وضعت لبنته، وتصوري لكيفية العمل فيه.

وهذا قد يستغرق وقتًا كبيرًا حتى يرى النور، ولعل الله -سبحانه- يمد لنا في العمر حتى نراه قائمًا، أما إن عجل لنا بلقائه؛ فالحمد لله، لعلي قد وضعت لبنته وخطة العمل به لمن سيأتي من بعدى ويستكمل هذا المشروع. والله ولي التوفيق.

ثمار الشجرة الطيبة

كان هذا أعزائي ملخص ما تم إنجازه في مشروع الجمعية الطبية الإسلامية. ولما كانت النية خالصة لله وحده، فقد كتب الله لهذا المشروع النجاح والتقدم، وفاق كل التوقعات. فكثير من الأفكار والمشروعات التي قامت على نوايا مختلفة غير إخلاص النية لله، كان مصيرها الفشل، وماتت قبل أن تبدأ.

فلما كان هذا المشروع -كما أسلفنا- خالصًا لله، فكان كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء، والحمد لله آتت هذه الشجرة الطيبة ثمارها.

فهذا عامها الثالث عشر -لحظة كتابة هذه السطور- وقد أثمرت الآتي:

- تحقق ما كنا نصبو إليه من مشروعات، وامتد نشاط الجمعية لمعظم مدن ومحافظات الدولة، وبذلك تحققت أهداف المدى القريب والمتوسط للجمعية. ووُضعت كذلك اللبنة لمشروع المدى البعيد.

- كان للمشروع أثر كبير على الشعب في زيمبابوي، فقد استفاد السواد الأعظم من الناس بتلك الخدمات.

- كان لهذا أثر كبير على المسلمين بالبلاد؛ فقد ثبت إيمانهم وتمسكهم بدينهم، وكذلك رفع من شأنهم وهم أقلية، فكان مدعاة للفخر والاعتزاز بما يقوم به إخوانهم المسلمون للمجتمع، وهو ما دعَمَ العلاقات الطيبة بينهم وبين باقي الشعب الزيمبابوي.

- اختلفت نظرة الناس إلى المسلمين، وأنهم دُعاة خير وسلام وخدمة للبشرية، وليسوا كما يُروِّج الغرب دُعاة عنف وإرهاب. وهذا كان محور اهتمامنا في كل وقت، وطبقناه بشكل عملي، وبعيداً عن الخطب والشعارات.

- كان لهذا الجهد والعمل أثره في أن شرح الله صدر الكثير من الناس إلى الإسلام، فدخلوا في دين الله عن حبّ وقناعة، بعد ما حفَّزهم ما نقوم به للبحث والتعرف على دين الإسلام.

- أما على المستوى الرسمي: فقد كانت مجهودات الجمعية موضع تقدير واحترام الجهات الرسمية الحكومية على جميع المستويات حتى المستوى الرئاسي -كما أسلفنا-.

- لم يتوقف تأثير الجمعية على زيمبابوي فقط، بل بلغ أثرها إلى بعض الدول المحيطة مثل زامبيا وملاوي وغيرهما، فقد كانت مُلهمة لهم في إنشاء جمعيات مماثلة وتحمل نفس الاسم والشعار والأهداف.

مستقبل الجمعية والتحديات التي تواجهها

الحمد لله أسَّسنا لهذه الجمعية القواعد والمعايير التي تسير عليها لسنوات وسنوات قادمة؛ إن شاء الله. فقد أصبحت مؤسسة لها دستورها وقواعدها التي لا تعتمد على أفراد بعينهم، وهذا ما كنت أسعى إليه من أول يوم.

فالآن كثيرٌ من المشاريع والفاعليات تحدث دون وجودي أو تدخلي.

وقد تم انتخاب مجلس إدارة جديد، ورئيس الجمعية الحالي هو ثاني رئيس بعدي، فقد كان دكتور سرورو هو أول رئيس بعدي والآن الرئيس الحالي دكتور نصير إسماعيل مع فريق عمل جديد. ولذلك أرى أن المستقبل مُشرق، وأنها ستستمر وتزدهر؛ إن شاء الله.

التحديات

كأي مؤسسة تتعرَّض لبعض المشاكل والتحديات، وذلك قد يكون بسبب بعض الأشخاص الذين يدخلون في المنظومة ولهم فيها مآرب أخرى وأطماع شخصية. والحمد لله سريعًا ما ينكشف أمرهم، ونقوم بتطهير الجمعية منهم أولاً بأول.

فدائمًا وبفضل الله الزبد يذهب جُفاءً، وما ينفع الناس يمكث في الأرض.

فالحمد لله الآن نسير بخطى ثابتة وتتطور الجمعية ويزداد نشاطها يومًا بعد يوم.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

- للاستزادة من أخبار الجمعية ونشاطها زوروا موقعنا على الإنترنت:

www.IMAZimbabwe.org

ثالثًا: المجال الدعوي

لم أكن أتوقع في يوم من الأيام أن يكون لي دور دعوي مباشر، وأن أجلس على المنبر لأتحدث ويستمع الناس إلى حديثي، ولا أن أكون من المحاضرين الذين ينتظرهم الناس بلهفة ليستمعوا إليه في أمور دينهم.

ببساطة شديدة لأني لم أكن مؤهلاً ولا مُعَدًّا لذلك، فأنا لست بعالم من علماء الدين، ولا دارس بشكل مباشر لعلوم الدين. لكن هكذا شاءت الأقدار والتي كلها بيد الله –سبحانه وتعالى– أن يكون لي دور في الدعوة لدين الله والانخراط في أعمال دعوية مباشرة، وأقصد بكلمة مباشرة أنها وبشكل صريح أحاديث في الدين، وليست دعوة غير مباشرة كما كان الحال في إنشاء الجمعية الطبية الإسلامية التي سبق الحديث عنها، والتي كانت دعوة إلى الدين، ولكن من خلال الأعمال الخيرية التي نقدّمها للناس باسم الدين الإسلامي.

فكيف كانت البداية، وما هي الأسباب والمقدمات التي دفعت بي إلى هذا العمل الجليل؟

البداية وأسبابها

كان من أسباب توجهي إلى هذا العمل الدعوي عدة أسباب؛ من أهمها:

1 - حب القراءة:

لعلي أدعي أني قارئ جيد، فقد قرأت الكثير من الكتب في الدين –منها

أمهات الكتب- وخاصة كتب السِّيَر، وكان أكثر شيء أستمتع بقراءته والتعمق فيه هو سيرة رسول الله ﷺ.

2 - حب المشاركة:

فقد علمتني أمي -رحمة الله عليها- حُبّ المشاركة، وأن تشارك ما تملك مع مَن حولك، ولا تبخل بما لديك. فقد كانت تأمرنا بأن نُوزِّع على كلِّ جارٍ من الجيران طبقًا مما تُعِدُّه من طعام، وخاصة الأطباق التي تتميز بها. وكذلك كان والدي -رحمة الله عليه- يُحِبّ العطاء حتى وإن لم يكن يملك شيئًا. وقد تحدثنا عن هذا بالتفصيل في مقدمة هذا الكتاب.

فهكذا تعلمنا وتعودنا حبّ مشاركة الغير لما نملك، وعليه كنت دائمًا أشعر أنه يجب عليَّ مشاركة من حولي لما أحمل من معلومات، وإن كانت متواضعة، وخاصةً أني وجدتُ المسلمين هنا في زيمبابوي في حالة عطشٍ ولهفةٍ شديدة لأي شيء في أمور الدين، وخاصة سيرة رسول الله ﷺ.

3 -عشقي لرسول الله ﷺ:

لقد مَنَّ الله عليَّ بحب، بل عشق لرسول الله ﷺ وكلما ازددتُ علمًا ازددتُ حبًّا وعشقًا.

وأصبح شغفي الكبير هو أن يعرف الناس من هو رسول الله ﷺ.

4 - الهجمة الشرسة على الإسلام وعلى رسول الإسلام ﷺ:

ولما كانت الهجمة الأخيرة والإساءة لرسول الله ﷺ، وما فعلته في نفوس

المسلمين الذين تفاوتت ردود أفعالهم، فمنهم من يرى أن المظاهرات والعنف هو الردّ المناسب، ومنهم من يرى أن الحوار والإقناع هو الحل الأمثل. فكانت تلك الأحداث هي من فجَّرت داخل نفسي ينبوع الحب ونهر العشق لرسول الله ﷺ، ورأيت أن أحسن شيء للرد على هذه الهجمة الشرسة هو تعريف الناس بمن هو رسول الله ﷺ، فلو عرفوه حق المعرفة لأحبُّوه.

فقررتُ تعليم المسلمين في زيمبابوي أولاً قَدْر رسولهم ﷺ، فيكون لديهم من العلم والمعرفة ما يدافعون به عن نبيهم؛ فالعلم هو أقوى الأسلحة وأنفعها وأبقاها. فليتسلَّح المسلمون هنا في زيمبابوي بسلاح العلم الذي به يدافعون عن رسولهم ونبيهم ﷺ؛ كلما تطاول عليه أحد.

ومن هنا كانت البداية.

محاضرات السيرة النبوية العطرة

بدأت بعرض للسيرة النبوية العطرة في المسجد الكبير بالمدينة (بولاوايو)، وكانت المحاضرة كل يوم خميس بعد صلاة العشاء. وكنت أُعِدُّ لها طوال الأسبوع. وقد قابلت بعض التحديات في أول الأمر خاصةً في اللغة؛ لأني أقرأ من مراجع كلها بالعربية وأنقلها في المحاضرات بالإنجليزية، وكان هذا الجهد يأخذ مني وقتًا كبيرًا. فكان عليَّ أن أبدأ يومي في الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا "وقت السحر"، وبعد صلاة التهجد أبدأ في العمل والقراءة والبحث حتى صلاة الفجر، وأستمر بعدها حتى تُشرق الشمس ثم أكمل يومي بعد ذلك في العمل المعتاد بين مستشفيات، وعيادات وجراحات ومحاضرات "طبية" للطلبة.

فقد كان جهدًا شاقًّا، ولكنه مصحوب بحلاوة ولذة لا أستطيع أن أصفها بأي كلمات.

ولما بدأت محاضرات السيرة النبوية كان الحضور ضعيفًا، ولكنه ما لبث بعد عدة أسابيع أن زاد العدد بشكلٍ كبيرٍ، وكان الناس دائمًا في لهفة وشوق لمعرفة ما سيأتي من أحداث في الأسبوع القادم.

أسلوب العرض

لقد ألهمني الله أن أبدأ دروس السيرة النبوية بمقدمة عن أهمية السيرة، وما

فيها من عِبر ودروس، وأهمية حبّ رسول الله ﷺ، ثم نبدأ بعرض للنسب الشريف الذي ينتهي عند إبراهيم -عليه السلام-. فقررتُ أن أبدأ من سيرة أبي الأنبياء "إبراهيم عليه السلام"، ونتدرج في الحديث عن إبراهيم ثم ولده إسماعيل -عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-، وهكذا تسير السلسلة حتى نصل إلى الجد الخامس لرسول الله ﷺ "قُصَيّ بن كلاب"، ومن ثَمَّ تسير السيرة حتى نصل إلى أبيه "عبد الله"، مرورًا بأجداده هاشم وعبدالمطلب. ثم يبدأ النور ونستهله بميلاد الحبيب ﷺ، وتستمر الأحداث حتى آخر يوم في حياته ﷺ.

وكنت أتعمد اللجوء إلى أسلوب التشويق في العرض، فختام كل حلقة عادةً ينتهي على شيء من التشويق، وما سيحدث في الحلقات القادمة. وهكذا أترك المستمعين وكلهم شوق ولهفة لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك.

والناس -كما أسلفنا- في حالة شوق وتعطُّش لمعرفة سيرة نبيهم. ولعل من طرائف الأمور أنه كان يتصل بي بعضهم خلال الأسبوع لمعرفة ماذا سيحدث في الخميس القادم؟ وكنت أقول له في دعابة: لو حضرت ستعرف ما يستجد من أحداث، ولكني في نهاية الأمر كنت أُطفئ نار شوقه وأخبره بشكل مختصر عما سيحدث في الحلقة القادمة.

وهكذا كان البرنامج يسير بشكل منتظم لا ينقطع إلا للضرورة القصوى، مثل سفري خارج البلاد، فيما عدا ذلك فلم يمنعني -والحمد لله- أيّ مانع من مواصلة محاضرات السيرة.

اليوم الحزين

وكانت محاضرات السيرة تستغرق من 6-8 أشهر. وكنت دائمًا أجد في عيون المستمعين سعادةً ونشوى وهم يتابعون سيرة نبيهم ﷺ. حتى يأتي اليوم الحزين وهو آخر يوم في السلسلة، يوم وفاة رسول الله ﷺ، ولأن الناس كانوا يعيشون أحداث السيرة بكل جوارحهم فكان لهذا اليوم شجونه وأحزانه، وكأنهم كانوا حاضرين المشهد الأخير في حياة رسول الله ﷺ بأجسادهم وأرواحهم.

وهكذا تنتهي سلسلة محاضرات السيرة.

وفي خاتمة كل مرة ننتهي فيها من السيرة، كنا نعد طعامًا للناس ليأكلوا، فيكون هناك جو جميل، ممزوج بحب رسول الله ﷺ والبهجة من سماع سيرته العطرة مع الحزن على فراقه. حتى إن بعضهم كان يقول لي: ماذا نحن فاعلون الخميس القادم؟ فلن نستمع لمزيد من القصص النبوي، وكان هذا الكلام على قدر ما كان يُسعدني لتعلق الناس بالسيرة، إلا أنه كان يؤثر فيّ بالغ الأثر. وأنا شخصيًّا في هذا اليوم، كنت دائمًا في حالة من الشجن العميق.

هكذا أحبابي أردتُ أن أنقلكم إلى أجواء هذه المحاضرات، وما وفقنا الله -سبحانه وتعالى- إليه.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

السيرة العطرة تجوب مساجد المدينة

ونظرًا لإقبال الناس على محاضرات السيرة وتعطشهم لسماع أخبار نبيهم ﷺ، ولما كان بعضهم لم يستطع الحضور للمسجد الكبير؛ إما لبعد المسافة أو ميعاد إلقائها (بعد العشاء). فقررتُ أن أُعيد نفس البرنامج في المساجد الأخرى، وهم حوالي ثمانية مساجد في المدينة: ثلاثة في وسط المدينة، وخمسة خارجها في الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية.

وأنا لا أُخفيكم القول، فقد كان لي فيها مآرب أخرى؛ فالسعادة والبركة والنشوى التي أعيشها أثناء تلك المحاضرات شيء لا يُوصَف.

وقد لاحظتُ الإقبال المتزايد على تلك المحاضرات خاصة في الأماكن ذات الكثافة السكانية العالية والتزام الناس هناك بالحضور رغم ضعف إمكانياتهم، فلا يملك أيّ منهم سيارة للمجيء بها إلى المسجد، اللهم إلا دراجة، أو يستعمل المواصلات العامة لمن يقدر عليها، أما السواد الأعظم منهم فيأتي إلى المسجد مشيًا على الأقدام من أماكن بعيدة قد تحتاج إلى ساعات من المشي.

وقد أبهرني أنهم لا يمنعهم أي شيء أو أي ظرف عن الحضور، فكثيرًا ما كان المطر يكون غزيرًا؛ فأقول في نفسي: إن اليوم سيكون الحضور ضعيفًا؛ نظرًا لسوء الأحوال الجوية، إلا أنني أُفاجأ بأن المسجد مليء بالناس كالعادة.

والمحاضرات في تلك المناطق كانت تحتاج إلى ترتيبات خاصة نظرًا لظروفها وطبيعتها، فموعدها كان الأحد (عطلة نهاية الأسبوع)، وبعد صلاة الظهر؛ لأن هذه المناطق تكون أكثر أمنًا وأمانًا في النهار عنها في الليل. ومعظم قاطني هذه الأماكن لا يتكلمون الإنجليزية، بل يتكلمون لغات محلية، فكنت دائمًا أصطحب معي مترجم يقوم بالترجمة من الإنجليزية إلى اللغات المحلية. وهو ما جعل المحاضرات أكثر قبولاً ونفعًا للناس.

وكان يسعدني أيضًا إقبال وحضور الناس من كل الأعمار من شيوخ إلى شباب إلى صبية صغار في السن، وكذلك من الجنسين رجال ونساء.

ولعلي هنا أذكر أخي وصدقي الحاج يوسف جايبي الذي وفاته المنية منذ عدة أسابيع؛ فقد كان -رحمه الله- ملازمًا لي في كل محاضراتي أينما كانت، وكان محباً وعاشقاً لرسول الله ﷺ، فرحمة الله عليه، وأسكنه الله جنات الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء.

استمرار السيرة العطرة

وهكذا أحبائي ظلت محاضرات السيرة النبوية العطرة مستمرة في مدينة بولاوايو؛ ننتهي من مسجد ثم ننتقل إلى مسجد آخر، مدفوعين بحبّ رسول الله ﷺ، وشغف الناس ولهفتهم لسماع سيرة الحبيب ﷺ. وهكذا حتى إن بعض

المساجد كان يطلب مني إعادة برنامج السيرة مرات ومرات.

فبفضل من الله -تعالى- لم تنقطع دروس سيرة خير الأنام ﷺ وصحبه الكرام عن مدينة بولاوايو آخر 23 سنة، فهي في استمرار دائم حتى الآن -وقت كتابة هذه السطور- ومستمرة إن شاء الله ما دمت حيًّا وأعيش في هذه البلاد الجميلة.

محاضرات سيرة
العشرة المبشرين بالجنة

وبعد نجاح محاضرات السيرة النبوية العطرة، وجدت أنه استمرارًا لهذه السلسلة المباركة كان لا بد من إلقاء الضوء على من كانوا في صحبة رسول الله ﷺ، فقررتُ أن أبدأ سلسلة من المحاضرات في سيرة الصحابة.

وعلى نهج السيرة النبوية بدأتُ في الإعداد لهذه السلسلة، ففكرتُ أن أبدأ بسيرة العشرة المبشرين بالجنة. وكما كان الحال في بداية محاضرات السيرة النبوية بدأت بالمسجد الكبير ثم تلاه باقي المساجد في المدينة.

من هم العشرة المبشرون بالجنة؟

كنت أطرح هذا السؤال في بداية كل محاضرة من محاضرات السلسلة، وأذكر أسماء العشرة المبشرين بالجنة، ليس ذلك فحسب، بل كنا نوزع كل مرة على الحضور ورقة مطبوع عليها أسماء العشرة المبشرين بالجنة؛ حتى تكون عندهم فرصة خلال الأسبوع لمراجعة الأسماء وحفظها.

ولتشجيع الناس على حفظهم كنت أُجري مسابقة في نهاية كل محاضرة لمن يذكر أسماءهم عن ظهر قلب وكانت الجائزة عشرة دولارات أمريكي لكل من

ينجح في ذكرهم.

وهكذا وبفضل الله نجحنا في أن نجعل المسلمين في مدينة بولاوايو يحفظون عن ظهر قلب أسماء العشرة المبشرين بالجنة.

الاستمرارية

وكما كان الحال في السيرة النبوية، استمر عرض سيرة العشرة المبشرين بالجنة من مسجد إلى آخر -كما أسلفنا -، وبنفس أسلوب السيرة النبوية كان البرنامج يأخذ من 6-8 أشهر، وكان العرض يعتمد على أسلوب التشويق، ونحاول أن نجعل الناس تحبّ صحابة رسول الله ﷺ، وهو ما جعل الناس تتلقَّى هذا البرنامج بالترحيب واللهفة.

عرض أكبر

ومن طرائف الأمور، أن زار المدينة إخوة من السعودية يأتون مع جماعة "التبليغ"، وهم أناس يعملون في الدعوة، وعملهم دعوي فقط، يأتون من كل بلاد العالم لمقابلة المسلمين والتحدث معهم في أمور دينهم وترغيبهم في الصلاة في المساجد، وهكذا.

فلما أتوا إلى بولاوايو حدَّثهم الناس عما نقوم به من أنشطة دعوية وخلافه، فلما قابلتهم لأرحب بهم، كما هي العادة مع أي مصري أو عربي يزور المدينة، وحدثوني عن الأنشطة الدعوية التي أقوم بها فقلت لهم: إن من دواعي سروري

وفخري أن جميع المسلمين في المدينة يحفظون أسماء العشرة المبشرين بالجنة عن ظهر قلب. فقال لي أحدهم: أرى أنك تبالغ فيما تقول، فلعلك تقول: إن معظمهم وليس جميعهم. وكنا في المسجد وبعد صلاة الظهر. فقلت له مازحًا: والله لو اخترت أيًّا من المصلين الموجودين في المسجد الآن وبشكل عشوائي، وسألته عن أسماء العشرة المبشرين بالجنة لأخبرك وبلا تردد. وبالفعل اختار أحد المصلين وبشكل عشوائي وسأله، فقلت له مازحًا قبل أن يجيب: أخي أنا عادةً أعطي عشرة دولارات لمن يذكرهم، وعندك اليوم عرض أفضل فهذا الرجل سعودي ويملك مالاً كثيرًا، وسيمنحك مائة دولار لو ذكرت أسماء العشرة المبشرين فضحك الجميع، وبدأ الرجل في ذكر أسماء العشرة المبشرين وبطلاقة، وهو ما آثار دهشة وإعجاب الأخ السعودي، حتى أنه قاطعه قائلاً: كفى كفَى، أحسنت أحسنتَ، فقلت له مازحًا: لا تخف! دعه يُكمل وسأعطيه المائة دولار، فضحك الجميع وكم كانت سعادتي في ذلك اليوم!

وهكذا أحبائي، كان هذا جهدنا المتواضع في برنامج سيرة العشرة المبشرين بالجنة.

ولله المِنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

محاضرات سيرة الصحابة

وعلى نفس النهج ونفس الأسلوب قررت البدء في سلسلة محاضرات في سيرة الصحابة، وكان التحدي الأكبر هو اختيار الصحابة الذين سيشملهم البرنامج؛ حيث إنه من الصعب أن تذكر جميع صحابة رسول الله ﷺ. فلكل منهم فضائله وشمائله، ولكنهم جميعًا يجتمعون على صفات ومزايا راقية، فكلهم في آخر المطاف من رسول الله ﷺ مُقْتَبِسٌ.

فغطَّينا في هذه السلسلة حياة حوالي سبعين صحابيًّا وصحابيةً.

وعلى نفس النهج بدأنا بالمسجد الكبير، ثم تلاه باقي المساجد في المدينة. وكالعادة مع ما سبق من برامج، لقي هذا البرنامج ترحيبًا واستحسانًا وتشويقًا من الناس.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

عودة إلى سيرة الحبيب ﷺ

كما ذكرت آنفًا، أن سيرة الحبيب المصطفى ﷺ لم تتوقف في مدينة بولاوايو إلا لإلقاء سيرة صحابة الحبيب المصطفى ﷺ، والتي هي استمرار لسيرة الحبيب ﷺ، فكما هو حال البدر التمام والنجوم من حوله، كان هو حالنا، فبدأنا ببدر البدور ﷺ، ثم تبعناهم بالنجوم الذين قال فيهم حبيبي ﷺ: "**أصحابي كالنجوم بأيهم**

اقتديتم اهتديتم"، أو ما كما قال.

وبعد الانتهاء من سيرة الصحابة، وتحقيقًا لرغبة المسلمين في المدينة الذين طالبوا أن تُعاد السيرة النبوية مرات ومرات في كل المساجد، وكنا دائمًا نجد من هو جديد العهد بالسيرة فيأتي متلهفًا إلى المسجد ليستمع لسيرة الحبيب بالإضافة إلى السابقين، فكان العدد في تزايد مستمر.

أضف إلى ذلك -كما أسلفنا- أني كان لي فيها مآرب أخرى، يعلمها الله -سبحانه وتعالى-. فنعمة الحديث عن خير الأنام ﷺ، وصحبه الكرام، وما شملنا الله بفضل منه ونعمة أشياء لا تُوصَف، ولا تُقَدَّر بأيّ ثمن، ولا حتى كنوز الدنيا كلها.

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

محاضرات عامة

كانت محاضرات السيرة -السيرة النبوية وسيرة الصحابة- تُلقَى كل يوم خميس بعد العشاء، أو يوم الأحد بعد الظهر حسب المسجد الذي تُلقَى فيه، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك محاضرات أخرى منوعة، منها:

في المناسبات الدينية

لقد مَنَّ الله -سبحانه- عليَّ بفضل آخر، وهو أنه كان يُطلب مني إلقاء محاضرة في المناسبات الدينية مثل ليلة الإسراء، عاشوراء، النصف من شعبان، وغيرها حيث يجتمع الناس في المسجد، وتبدأ الاحتفالية بتلاوة بعض آيات من القرآن الكريم يقوم بها أحد الحُفّاظ، أو يقرأ الناس سورة ياسين، إما جماعة أو منفردين، بعدها أقوم بإلقاء المحاضرة بهذه المناسبة، وكنت أجد فيها فرصة طيبة لتعريف الناس بدينهم، ثم تُختتم الاحتفالية بدعاء يقوم به أحدُ الأئمة في المسجد. وكنت دائمًا أتلقَّى دعوات من مساجد المدينة المختلفة لإلقاء محاضرات فيها على نفس النهج.

حديث الجمعة

أما في صلاة الجمعة؛ حيث إن الناس غير ناطقين بالعربية؛ فعادةً ما يُلقى قبل الخطبة والتي تُلقَى بالعربية من أحد أئمة المسجد، تُلقَى محاضرة باللغة الإنجليزية، فكان يُوكَل إليَّ بإلقاء هذه المحاضرة، وقد وفَّقني الله -سبحانه- في

اختيار الموضوعات، والبعد عن النقاط الخلافية والحديث فيما يجمع المسلمين، والبعد عما يُفرّقهم والحمد لله، وكانت سلاسة العرض وسهولته وعدم الإطالة والحديث المباشر في الموضوع هو ما جعل الناس تستمتع بالحديث، والحمد لله، كانت تَلْقَى استحسانًا وقبولاً من المصلين، وموضوع حديثهم طوال الأسبوع.

الدعوة لزيارة مدن أخرى

لما كانت محاضراتي تَلْقَى استحسانًا كبيرًا من الناس، وزادت شهرتها في أنحاء البلاد. فقد كنت أتلقى دعوات من مدن أخرى مثل "كويكوي"، والتي تبعد حوالي 250كم من بولاوايو وغيرها من المدن، دعوات للذهاب إليهم لإلقاء محاضرات خاصة أيام ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ، (المولد النبوي الشريف).

وفى الحقيقة هذا الشرف الكبير والفضل العظيم كنت أقابله بالترحاب الشديد، وعدم التردد في قبوله، رغم مشاغلي وعملي الكثير والمتشعب بين طبّ وجراحة وخدمات عامة وأعمال دعوية وغيرها. إلا أني كنت أجد هذه النعمة وهذا الفضل لا يجب رفضه، وكما ذكرت وأكرر: "لي فيها مآرب أخرى".

ولله المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

تسجيل المحاضرات

ونظرًا لشغف الناس ولهفتهم لمعرفة الكثير عن خير الأنام ﷺ وصحبه الكرام، ورغبةً منا في توصيلها إلى أكبر عدد من الناس -مسلمين وغير مسلمين-؛ فقد قمنا بتسجيل هذه المحاضرات: السيرة النبوية، وسيرة العشرة المبشرين بالجنة، وسيرة الصحابة، وأحاديث الجمعة، وخلافه من المحاضرات

العامة – وتم تسجيلها على أسطوانات مدمجة (CDs).

وتم توزيعها بالمجان على جميع محافظات ومدن زيمبابوي. ولم أكن أتوقع هذا الإقبال الكبير على تلك الأسطوانات مما اضطرنا إلى إعادة طباعتها مرات ومرات.

التطور التكنولوجي

ومع تطور التكنولوجيا قمنا بتسجيلها على (USB)، وتوزيعها ثم قمنا بإنشاء موقع على الإنترنت: (www.hassanashmawy.com) عليه كل المحاضرات. وأخيرًا تم إنشاء قناة على اليوتيوب: (Dr Hassan Ashmawy)، وبها كل المحاضرات ويتم تحميلها أولاً بأول بكل جديد من محاضرات.

وهنا لا بد أن أشكر أخًا كريمًا اسمه آدم لاهير (Adam Laher)، وهو مسلم من أصول هندية وخبير في مثل هذه الأمور، وقد قام بجهد كبير جدًّا في عمل ومتابعة هذه التسجيلات في كل مراحلها. فجزاه الله كل خير.

خارج الحدود

لم أكن أتوقع هذا الانتشار الكبير لتسجيلاتي المتواضعة، فقد كان غاية آمالي أن يسمعها أهل مدينة بولاوايو. ولكنها انتشرت وبشكل كبير في كل أنحاء الجمهورية.

أما المفاجأة الكبرى فكانت هي انتشار هذه التسجيلات خارج حدود دولة زيمبابوي، فكانت تأتينا الأخبار من جنوب إفريقيا وزامبيا وملاوي، وغيرها من البلدان المحيطة أن هذه التسجيلات منتشرة بشكل كبير في تلك البلاد؛ حتى إن

أحد الأصدقاء قال لي: إنه كان في كيب تاون (جنوب إفريقيا)، وكان واقفًا في أحد الشوارع ينتظر صديقًا له، فلاحظ أن بين كل سيارتين هناك سيارة يسمع منها صوت تسجيلاتي. فشكرتُ له هذه المجاملة الطيبة لأنني ظننت أنه يريد أن يجاملني ويسعدني. ولكني فوجئت بأن هذه الأخبار تأتي إلينا من أكثر من مصدر ومن دول عدة. وهو ما أدخل الفرحة والسرور على قلبي وجعلني أسجد لله شكرًا على هذا الفضل الكبير والنعمة العظيمة التي لاحول لي ولا فضل فيها؛ وإنما المَنَّة والفضل لله -سبحانه وتعالى-.

مادة ثابتة في الإذاعات

هناك في كثير من الدول المجاورة وخاصة جنوب إفريقيا، إذاعات إسلامية كثيرة تَبُث القرآن الكريم والبرامج الإسلامية، وقد رأت إدارة كثير من هذه المحطات أن تجعل من تسجيلاتنا مادة ثابتة تُبَثّ بشكل يومي من هذه الإذاعات.

حقوق الملكية الفكرية

منذ بداية فكرة التسجيلات، وأنا مُقرر أنه لا حقوق ملكية فكرية، وكتبنا هذا بشكل واضح على الأسطوانات وفي جميع المواقع. فالحمد لله ما أفاء الله به عليَّ -كما أسلفت- أكثر بكثير من كل كنوز الدنيا.

أما مكافأتي وسعادتي ونشوتي أن أعلم بأن هذا الجهد المتواضع، وتلك التسجيلات وصلت إلى أسماع وعقول وقلوب الناس، وزاد من سعادتي أن أعلم أن كثيرًا من غير المسلمين يستمع إليها، وقد هدى الله بعضهم للإسلام.

ولله المِنَّة والفضل من قبل ومن بعد.

خير الأنام وصحبه الكرام

وفي فتح آخر مِن الله -سبحانه وتعالى- لم أكن أتوقعه، أنْ مَنَّ الله عليَّ بفكرة الكتابة. فلما وجدت استحسانًا وقبولاً من الناس لطريقة العرض والسرد للسيرة؛ ففكرت في كتابتها بنفس أسلوب عرضها وسردها في المحاضرات.

وهو أسلوب سهل وبسيط ومنظَّم، يصل بشكل مباشر إلى عقول وقلوب الناس.

وفى الواقع كنت مترددًا بشكل كبير في أول الأمر، وقلت في نفسي: ما عساني سوف أُزيد في السيرة النبوية العطرة وسيرة الصحابة من جديد، وقد تناولها العديد من الكُتَّاب والعلماء من هم أكثر مني علمًا وأعلى مقامًا.

لكنى تذكرت قول حبيبي ﷺ: **"بلِّغُوا عنّي ولو آية"**، وهو ما شجَّعني على البدء في كتابة هذه السلسلة العطرة، وكان هدفي هو كتابتها باللغة العربية التي بها أستطيع أن أعبّر عن نفسي بشكل جيد، ومن ثم تُترجم إلى اللغة الإنجليزية؛ لأني لاحظت أن المعروض من كتب السيرة باللغة الإنجليزية قليل جدًّا بالمقارنة بالمكتبة العربية التي تَذْخر بالعديد من هذه الكتب.

وبدأت رحلة الكتابة....

اسم السلسلة:

لقد فكرت كثيرًا في اختيار اسم لهذه السلسلة المباركة إلى أن هداني الله إلى هذا الاسم: **"خير الأنام وصَحْبه الكرام"**، **وهي** سلسلة من أربع أجزاء:

- الجزء الأول: **حياة خير الأنام ﷺ.**
- الجزء الثاني: **حياة العشرة المبشرين بالجنة.**
- الجزء الثالث: **حياة الصَّحْب الكرام.**
- الجزء الرابع: **حياة الصحابيَّات.**

فقد رأيت أنه لا بد من إفراد جزء خاص بحياة الصحابيَّات؛ لما في حياة هؤلاء الصحابيات من دروس وعِبَر قد تكون نبراسًا لأخواتنا وبناتنا.

أسلوب الكتابة

لقد اتبعت في كتابتي لهذه السلسلة المباركة الأسلوب السهل البسيط البعيد عن النمطية والإطالة، وطريقة العرض بأسلوب علمي يُسهِّل على القارئ تتبُّع الأحداث في سهولة ويسر. وكذلك اعتمدتُ في الكتابة على المصادر الموثوق فيها، والبعد عن القصص والروايات ضعيفة السند والمصدر.

وحرصت على أن تخدم هذه الروايات الهدفين الرئيسين من الكتاب؛ وهما:

- الدروس التي يمكن أن نتعلمها من حياة خير الأنام ﷺ وصَحْبه الكرام.
- زرع الحب في قلوب الناس لخير الأنام ﷺ وصَحْبه الكرام.

النشر والتوزيع

وقد تعاقدت مع مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، والحمد لله نجحنا في طباعة ونشر الأجزاء الأربعة. وقد لاقتْ هذه السلسلة استحسانًا كبيرًا من القُرَّاء، وكانت ردود الأفعال طيبة من كل الفئات. وبفضل الله انتهت الطبعة الأولى من الجزء الأول "**حياة خير الأنام ﷺ**"، وتم إعادة طبع الكتاب للمرة الثانية. وإن شاء الله سنواصل النشر وإعادة الطباعة كلما لزم الأمر.

الترجمة:

وكما هو مخطَّط له قمنا بالشروع في ترجمة هذه السلسلة إلى اللغة الإنجليزية، وقد عهدتُ بذلك إلى أناسٍ متخصصين في شؤون الترجمة، والحمد لله نحن على وشك الانتهاء من ترجمة الجزء الأول "**حياة خير الأنام ﷺ**" حتى لحظة كتابة هذه السطور، وسيتم طباعته وتوزيعه هنا في إفريقيا وجميع الدول الناطقة بالإنجليزية؛ إن شاء الله.

والشكر موصول هنا إلى الأستاذة "هايا عيد"، وفريق عملها الذين قاموا بترجمة أكثر من رائعة.

وجميع الكتب موجودة على موقعنا على الإنترنت

www.hassanAshmawy.com، ويسهل تحميلها.

كان هذا -أعزائي- كل ما أفاء الله به علينا من جهد متواضع في الشأن الدعوي، والذي لا أدعي فيه أي فضل؛ فالفضل والمِنَّة كلها لله -عز وجل-.

وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع بقبول حسن؛ إنه -سبحانه- ولي ذلك والقادر عليه.

رابعًا: في حبّ مصر

لقد أتينا إلى هنا في إفريقيا كخبراء مصريين، ومنذ الوهلة الأولى التي وَطِئتْ فيها قدماي تلك البلاد وضعت نُصْب عيني حُبّ مصر، ولم أنسَ ولو لطرفة عين أني مصري، ليس ذلك فحسب، بل زرعت ذلك الحب والانتماء في نفوس أبنائي الذين كبروا وترعرعوا بعيدًا عن الوطن الأم.

القوة الناعمة

كنت دائمًا أعمل جاهدًا على أن أكون مثالاً مشرفًا لبلدي؛ لأني أعلم ما لمصر من مكانة في قلوب الأفارقة، وأنا هنا أتحدث عن عامة الشعب الذين أتعامل معهم بشكل يومي. وكلما سنحت الفرصة أحدّثهم عن مصر الإفريقية، وعن تاريخ التواصل المصري الإفريقي، وكنت ألاحظ في عيون الناس الكثير من الحب والاحترام.

وقد كنتُ أقوم بذلك بحسّ وطني بحت، وكنت أرى ثماره دائمًا في وقته وحينه. فتلك القوة الناعمة لمصر لا بد أن تُستثمَر جيدًا، ويُستثمَر هذا الرصيد الضخم لمصر من الحبّ والاحترام في قلوب وعقول الأفارقة.

ولقد خسرت مصر الكثير لما توجهت كُليًّا إلى الشمال، وأدارت ظهرها للجنوب، فإفريقيا هي الامتداد الطبيعي جغرافيًّا وتاريخيًّا لمصر، وهي العمق

الاستراتيجي لمصر بأبعاده السياسية والاقتصادية، وكنوز كثيرة لم تُستثمر بعدُ.

وهناك نقطة مهمة نريد إلقاء الضوء عليها وهي أن بُعْد مصر عن إفريقيا ترك مجالاً كبيرًا وفراغًا ملأته قوى أخرى في العالم، وهو ما أفقَد مصر الكثير. فلا بد من تدارك أخطاء الماضي، ونُسرع الخطى في الرجوع إلى إفريقيا قبل فوات الأوان، فمصر عندها رصيد كبير في نفوس الأفارقة -كما أسلفنا- ولا بد أن يُستثمر ولا نتركه للأخرين ليحلوا محل مصر الأم.

الطبيب المصري

ولعل من طرائف الأمور -والتي تؤكد ما سبق ذِكْره- أنَّ كثيرًا من المرضى يجدون صعوبة في نطق اسمي "دكتور عشماوي"، ولكنهم يجدون أنه من الأسهل أن يقولوا "الدكتور المصري". فأصبحت مشهورًا بهذا الاسم وتلك الكُنية، وهو ما كان يسعدني، ويجعلني أكثر تحمسًا وتحملاً للمسؤولية في جعل سُمْعَة وطني ومكانته دائمًا في موضعها اللائق بها.

والحمد لله أعتقد أني قد نجحت في ذلك إلى حد كبير.

اللغة العربية

إن اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية للبلاد هنا في زيمبابوي -كما أسلفنا-، فكل شيء بالإنجليزية في المدارس، في المستشفيات، في التعامل اليومي مع الناس. فلما كان أبنائي في المدارس وطول يومهم لا يتكلمون إلا الإنجليزية، فخشيت عليهم من فقدان أو نسيان اللغة الأم "اللغة العربية"، فوضعت نصب عيني أن

يتعلموا العربية من أول يوم بدأوا فيه الالتحاق بالمدارس هنا، فاتبعت المناهج المصرية في تعليم اللغة العربية، وكنت أقوم بذلك أنا وزوجتي في المنزل مع أبنائي.

وفي عطلة نهاية الأسبوع كنت أدعو أبناء الجالية المصرية إلى منزلي، وأحاول مساعدتهم في ذلك.

ومع تطور الأبناء في السنّ، تطور معهم تعلمهم للغة وقواعدها من صرف ونحو وشعر وخلافه. أما في المنزل فلا نتكلم إلا العربية، حتى وإن حدثنا أحد الأبناء بالإنجليزية نرد عليه بالعربية.

وكنت دائمًا أقول لأصدقائي: إن الأبناء طول يومهم يتكلمون ويلعبون ويتشاجرون ويتعلمون بالإنجليزية، فَلِمَ نُحدِّثهم بها في المنزل؟ فلنتخاطب معهم بلغة أخرى، وهي اللغة الأم "اللغة العربية".

والحمد لله نجحنا بشكل كبير في ذلك؛ فأبنائي وقد كبروا وتخرجوا من الجامعات ويعملون الآن وهم يُجيدون العربية قراءة وكتابة وفهمًا إلى جانب الإنجليزية بالطبع.

وهنا أودّ أن أهمس في أذن كثير من أخواتي وإخواني المصريين، الذين يعيشون داخل مصر وخارجها، وأقول لهم: ألا تقتلوا اللغة العربية في نفوس وعقول أبنائكم، فما نلاحظه هذه الأيام شيء يدعو إلى الحزن والأسى فالآباء والأمهات يتحدثون إلى أبنائهم باللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات الأجنبية، ويُدخلون

كثيرًا من مفرداتها في حياتهم اليومية، وأصبح من دواعي الفخر عند بعضهم قوله: إن ابني لا يُجيد العربية ولا يتكلم إلا الإنجليزية!!، ظنًّا منهم أن هذا يُدخلهم في طبقة أعلى وأرقى من هؤلاء المتحدثين بالعربية.

وهذا الفكر في الحقيقة شيء يدعو إلى كثير من الحزن والأسى لا الفخر والتباهي. فلا مانع من تعلم أكثر من لغة للآخرين، ودراسة علومهم والتفاعل والتعلم منهم، بل هو شيء محمود، ولكن ليس على حساب لغة القرآن، اللغة الأم؛ "اللغة العربية".

فلو يرى هؤلاء المُتباهون بجهلهم بالعربية، لو يروا المسلمين غير الناطقين بالعربية كم هم مشتاقون!، وكم من الجهد يبذلون في سبيل تعلُّم اللغة العربية!، ويُنفقون في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس!!. فما بال الأهل الذين يعيشون في بلدٍ لغتُه الرسمية هي اللغة العربية، ويتكلم أهلها العربية، ولكنهم يحاولون الهروب منها، وكأن التحدث بالعربية أصبح شيئًا يَخْجَل منه الإنسان!!

وملحوظة أخرى ألاحظها في أوطاننا هذه الأيام، وهي حالة "الفَرْنَجَة" التي تعيشها البلاد. فمحل عصير القصب والفواكه أصبح "فريش فروت"، ومكتوب بحروف عربية وتُنطق بالإنجليزية، وغير ذلك من الأمثلة الكثير والكثير. فلا أدري ما السبب في ذلك التحوُّل، وفي محاولة طمس اللغة التي هي هوية وضمير كل أمة؟! والتي لا بد أن تكون محل فخر واهتمام الجميع.

هنا القاهرة

قبل سفري لأول مرة إلى زيمبابوي، كان من الأشياء المهمة التي كنت

حريصًا على اقتنائها لتكون معي في سفري هو راديو يلتقط الموجات المتوسطة التي أستطيع من خلالها السماع إلى الإذاعة المصرية، وكان ذلك قبل حقبة الفضائيات.

وبالفعل حصلت وبعد عناء في البحث على هذا الراديو. وكنا في المساء نجلس أنا وزوجتي نقلب في المحطات في محاولة لسماع الإذاعة المصرية، وللآسف لم نستطع التقاطها إلا بعد منتصف الليل. فكان من الصعب السهر حتى ذلك الوقت المتأخر في أيام الأسبوع؛ لأننا يجب أن نستيقظ مبكرًا للعمل والمدارس.. فكانت فرصتنا هي مساء يومي الجمعة والسبت من كل أسبوع (عطلة نهاية الأسبوع)، فهي الفرصة الوحيدة التي نستطيع السهر فيها.

وكم كانت سعادتنا حينما نستمع إلى الإذاعة المصرية، وصوت المذيع وكأنه يشدو: "هنا القاهرة"!!، ونستمتع لسماع الأخبار والبرامج من القاهرة، ونظل هكذا حتى يغلبنا النوم.

ولما تطورت الأمور، وأصبحنا في حقبة الفضائيات، كنا من أوائل من قام بشراء طبق وجهاز استقبال، وكانت التكلفة آنذاك عالية جدًّا. لكن أصبحنا نرى ونسمع القنوات العربية والمصرية.

وأيما سعادة تلك التي عشناها في أول يوم شاهدنا فيه تلك القنوات، ونحن الآن في تواصل مع الوطن من خلال الفضائيات التي نستطيع متابعتها على مدار الساعة، ونضحك كلما تذكرنا أيام السهر حتى منتصف الليل فقط لنسمع "هنا القاهرة".

الجالية المصرية

لقد كنت سعيد الحظ أن كان معنا في مدينة بولاوايو جالية مصرية محترمة جدًّا، معظمهم من الأطباء وأساتذة الجامعات والمهندسين. وقد كانت تجمعنا علاقات طيبة واحترام متبادل، وكانت هناك علاقات أُسرية راقية، وكنا نحرص على التقارب واللقاءات الدورية.

ففي كل أسبوع ومع بداية عطلة نهاية الأسبوع، كان لا بد أن نجتمع على الأقل مرة أو مرتين في منزل أحدنا، أو نخرج جميعًا للنزهة في أحد الأماكن التي كانت مُعَدَّة لذلك لقضاء وقت طيب. ولقد كان هذا يُهوّن كثيرًا على الجميع، وكنا نجد فيه عوضًا عن البعد عن الأهل، وتطورت العلاقات حتى أصبحنا جميعًا كأسرة واحدة، وهو ما كان يغبطنا عليه الكثيرون.

أما في الأعياد والمناسبات الأخرى؛ فكنا نحرص كل الحرص على إحيائها والاحتفال بها حتى لا ينسى الأبناء هذه المناسبات، ويقوى ارتباطهم بالوطن الأم. ففي عيد الفطر كان الجميع يجتمع عندنا في المنزل بعد صلاة العيد على إفطار يوم العيد، والاستمتاع بكعك العيد الذي كانت تُعِدُّه زوجتي، ونقضي معًا يومًا جميلاً.

أما في يوم عيد الأضحى فكنا نذبح الذبائح معًا، وفي أجواء احتفالية تشترك جميع سيدات الجالية في إعداد الطعام، ويسعد الجميع صغار وكبار بهذه المناسبة.

وبخلاف الأعياد والمناسبات كثيرًا ما كنا نرتب للقيام برحلات خارج المدينة

للاستمتاع بالطبيعة الخلابة والقيام بعمليات سفاري. وهناك العديد من القصص الطريفة والمواقف التي تعرضنا لها من الحيوانات، ولكن الله سَلَّم، وكثير من الطرائف مع البعض الآخر من الحيوانات. ونخص بالذكر منطقة شلالات فيكتوريا، والتي تُعَدّ من عجائب الدنيا.

ومما لا شك فيه أن كل منا يحمل في داخله الكثير والكثير من الذكريات والطرائف التي قد تُفْرد لها كُتُب ومجلدات، ولكنها في مجملها ذكريات طيبة يحملها الصغار قبل الكبار.

الجالية العربية

وفي بعض الفترات كان يأتي بعض الإخوة العرب إلى المدينة؛ إما للعمل أو للتجارة، وكنا دائمًا نحرص على استقبالهم، والترحيب بهم، حتى أصبحوا جزءًا من الجالية المصرية يشاركونا كل اللقاءات والاحتفالات، فلقد كان هناك إخوة من السودان وفلسطين ولبنان والأردن. لقد كانت أيامًا جميلة تحمل في طياتها أجمل الذكريات.

ومن الطريف أن تعلمت سيداتنا منهم طرق طهي بعض الأطباق التي أضافت إلى الأطباق المصرية لذة وحلاوة، وهم كذلك تعلموا طهي بعض الأطباق المصرية فكانت المتعة والاستمتاع للجميع.

والحمد لله تطورت هذه العلاقات وهذا الحب والاحترام المتبادل، حتى إن معظمهم ورغم مغادراتهم للبلاد مازالوا على تواصل معنا حتى الآن.

الوحدة الوطنية

لقد كان معنا في المدينة بعض الإخوة الأقباط، فهنا في مدينة بولاوايو تجلت الوحدة الوطنية في أبهى صورها. فلا أبالغ إذا قلت: إنه من الصعوبة أن تُفرق بيننا من هو المسيحي ومن هو المسلم. فقد كنا دائمًا نحتفل معًا سواء في الأعياد الإسلامية أو القبطية، وعادة نجتمع لنحتفل ونشارك بعضنا البعض.

ومن طرائف الأمور أنه في وقت من الأوقات لم يبقَ في المدينة إلا أُسْرَة واحدة قبطية بعد أن كان هناك أكثر من خمس أُسَر، فكنا في يوم عيدهم ندعوهم وباقي أفراد الجالية المصرية للاحتفال بالعيد في بيتنا، وكم كانت البهجة والسعادة التي يعيشها الجميع!! وبالطبع كنا دائمًا معًا في كل لقاء يجمعنا في منزل أحدنا.

وهكذا كنت أحرص على بقاء العلاقات بين كل أعضاء الجالية المصرية والعربية في أبهى صورها، حتى من يترك البلاد يحمل معه ذكريات طيبة عن تلك الأيام.

حُبّ كل ما هو مصري

تُعتبر مدينة بولاوايو -كما أسلفنا- ثاني أكبر مدينة في البلاد بعد العاصمة هراري، والتي يوجد بها السفارة المصرية. ولقد كان هناك دائمًا تعاون وثيق بيننا في بولاوايو وبين السفارة في العاصمة هراري. وقد تعاقبت على سفارتنا في هراري نخبة عظيمة من السفراء والدبلوماسيين والإداريين.

ومن السفراء الذين تركوا أثرًا كبيرًا في نفسي سعادة السفير رخا حسن،

والذي استمرت العلاقة والتواصل بيننا حتى الآن، وقد كان معظمهم أجلاء وشخصيات محترمة جدًّا قد لا يتَّسع المجال لذكرهم جميعًا، وكنت أحرص دائمًا على أن أكون على تواصل مع السفارة، وكانوا دائمًا غاية في الرقي والاحترام، ودائمًا في خدمة أعضاء الجالية.

وكان هذا التعاون يظهر جليًّا وفي أبهى صوره عندما تكون هناك مناسبة أو فعالية ستُقام في بولاوايو، فكنا كجالية مصرية في بولاوايو نتبارى في خدمة الوافدين المصريين على مدينتنا. وبالتعاون والتنسيق مع السفارة كنا نعمل كل جهد على راحة الزوار، وتسهيل مهمتهم قدر المستطاع.

ومن أمثلة ذلك:

فرق كرة القدم

لقد كان في كثير من الأحيان تُوقع القرعة بعض الفِرَق المصرية للَّعب ضد فرق من بولاوايو وعليه كان لا بد من إقامة المباريات في بولاوايو، فكان يأتي إلى المدينة فرق كالأهلي والزمالك، وأحيانًا الفرق القومية للشباب؛ لأن الفريق الأول عادةً يلعب في العاصمة.

وفى كل هذه المناسبات عادة تتحول المدينة إلى خلية نحل في حركة دائبة وجهد كبير من قبل وصولهم وحتى رحيلهم؛ استعدادًا لاستقبالهم والترحيب بهم وتذليل كل العقبات من إقامة الفرق إلى ترتيبات ملاعب التدريب، وخلافه من المشكلات التي قد تطرأ من حين لآخر، والإعداد للتشجيع بالإعلام المصرية،

وكنا عادة ندعو إخواننا العرب ليشجعوا معنا الفرق المصرية. ورغم أن عددنا محدود بالنسبة لجماهير الفريق المنافس إلا أننا كنا نُحْدِث فرقًا في الملاعب بالتشجيع المتواصل خلال المباراة.

فرق الهوكي

من الأشياء التي كانت تُميّز مدينة بولاوايو هو قدوم فِرَق الهوكي للمدينة، وذلك لوجود الإستاد الرئيسي للهوكي هنا في بولاوايو. فكل البطولات الإفريقية سواء بطولات الأندية والتي دائمًا تشارك فيها فرق مصرية كالشرقية والشرطة وغيرهما، أو بطولة الأمم الإفريقية والتي تشارك مصر دائمًا فيها. فكل هذه البطولات كانت تُقام دائمًا في بولاوايو.

وكما كان الحال مع فرق كرة القدم، نقوم كجالية بالتعاون مع السفارة في عمل كل جهد لتسهيل كل العقبات التي قد تقابل الفرق، ونظل هكذا حتى تنتهي البطولة ويغادر الزوار المدينة.

المشاركة في المعرض التجاري الدولي

يوجد في بولاوايو أرض المعارض الرئيسية للبلاد؛ وذلك لكونها مدينة صناعية -كما أسلفنا-، وكانت مصر تشترك دائمًا في تلك المعارض والتي كانت تُقام سنويًّا بعددٍ كبيرٍ من الشركات المصرية، وعادةً يصحبهم وفد من هيئة المعارض المصرية.

وكما هو الحال مع الفرق الرياضية، كنا نقوم بالتعاون مع السفارة بعمل كل

جهد في سبيل راحة الزوار المصريين من عارضين وأعضاء هيئة المعارض وخلافه.

أجواء احتفالية

وكنا عادةً في مثل المناسبات نقوم بإعداد احتفالات وولائم على شرف سعادة السفير -الذي كان عادة يحضر بنفسه أو مندوب عنه من أعضاء السفارة- ويُدْعَى إليها الحضور من الفِرَق والزائرين مع جميع أعضاء الجالية المصرية.

وكانت تلك الولائم والاحتفالات عادة تُقام في منزلنا، وكانت دائمًا تُقام في أجواء احتفالية، خاصة إذا كانت الفِرَق المصرية قد فازت وأبلت بلاءً حسنًا. ونفس الشيء كان يتم مع زوار المعرض من المصريين.

وكان عادةً يتعاون جميع سيدات الجالية المصرية مع زوجتي في التحضير والإعداد لتلك الاحتفاليات لتخرج على أحسن ما يكون.

ومن الطرائف التي أذكرها: أنه كان الفريق القومي للهوكي يلعب على بطولة إفريقيا، وكالعادة كانت زوجتي أعدت الطعام وكل شيء على ما يرام في اليوم الذي كان يُلعب فيه النهائي، والإعداد كان على أساس أن الحضور سيكون حوالي 30-40 شخصًا، ولكن حدث أثناء المباراة النهائية أني لاحظت أن فريق نامبيا، وكذلك فريق زيمبابوي الذين كانوا موجودين معنا في المدرجات بكامل هيئتهم، لاحظت أنهم يشجعون فريق مصر، وكنا نشجع معهم، وكنا نعلمهم بعض الكلمات المصرية ليشجّعوا بها.

ولما انتهت المباراة بفوز مصر بالمباراة وكأس البطولة فدعوتهم جميعًا لمشاركتنا الاحتفال في منزلي بعد المباراة.

فلما وصلنا إلى المنزل ولاحظت زوجتي هذا العدد الكبير الذي يزيد عن المائة شخص، فما أن رأتهم حتى أصابتها حالة من الذهول، وقالت وهي في حالة من الهلع: ما هذه الأعداد؟ لماذا لم تخبرني حتى أُعِدَّ الأكل لهذا العدد؟!، أنا محرجة جدًّا؛ فالأكل قد يكون غير كافٍ.. وظلت هكذا تحدثني وأنا أحاول أن أُهَدِّئ من روعها، فقلت لها: لا عليك، لا تقلقي، ضعي ما أعددت من طعام على الموائد واجلسي واستمتعي واحتفلي مع المحتفلين. فالأولاد منتصرون والجو جوّ بهجة وفرح، وإن شاء الله الأكل سيكون كافيًا ويفيض.

وحضر الجميع، وبدأ الشباب في الاحتفال، ويلقي بعضهم البعض في حمام السباحة ويأكلون ويمرحون.. وأكل الجميع وفاض.

وكم كانت سعادة الجميع وسعادتنا بهذا الحدث الجميل وهذه الأجواء السعيدة!! وقد تنفست زوجتي الصعداء بعد انتهاء هذا الاحتفال والكل يغادر فرحًا مستبشرًا شاكرًا حُسن الضيافة.

بيت الأمة

لقد كان منزلنا -وبفضل الله- هو المكان الذي تُقام فيه معظم الاحتفالات في المناسبات المختلفة، ومقصد كل مصري وعربي يأتي إلى المدينة حتى العابرين بها. ففي كثير من الأحيان أجد بعض الأصدقاء الزيمبابويين يأتون إلينا وبصحبتهم

أحد المصريين أو العرب تعرَّفوا عليه في المسجد، أو قابله أحدهم في المدينة، وعرف أنه مصري أو عربي قدم مؤخرًا إلى المدينة، أو حتى نزل بها عابرًا في رحلته من بلدٍ إلى بلدٍ. فكانوا يأتون بهم إلى منزلنا فنقوم بعمل كل ما يلزم من ترحيب واستضافة ومساعدة قدر الإمكان.

هذا ما دعا كثير من الزملاء أن يُطلق على منزلنا "بيت الأمة"، وكنا نفتخر بهذا اللقب، والذي كنت أجد أنه أكثر مما نستحق، فما كنا نقوم به لم يكن فيه أي شيء غير عادي، وكان دائمًا بمساعدة ومعاونة الجميع.

وهكذا -أحبائي- كان هذا بعض من الصور التي شهدت حبّ مصر ومكانتها في نفوس أبنائها، والذي سيظل في قلوبنا جميعًا ما دام الدم يجري في عروقنا.

بلادي بلادي * لكِ حبي وفؤادي**

إلى أين المُنتهى؟

سؤال يتكرر عليَّ كثيرًا: ما هي خططك المستقبلية؟؛ هل ستبقى في إفريقيا، أم العودة إلى الوطن الأم؟، أم إلى أين المُنتهى؟

وفي الحقيقة أنا شخصيًّا لم أجد إجابةً واضحةً لهذا السؤال حتى هذه اللحظة. فكثير من الزملاء والأصدقاء قد غادروا البلاد إلى جهات مختلفة ولأسباب مختلفة.

وقد كانت عندي فرص كثيرة للهجرة والعمل في استراليا، وكذلك بعض الدول المجاورة مثل بوتسوانا أو جنوب إفريقيا، ولكني كنت لا أجد في هذه العروض ما يجعلني أنتقل إليها، رغم أن العائد المادي قد يكون مُغريًا. فقد كنت لا أجد ارتياحًا أو استعدادًا لاتخاذ مثل هذه الخطوة. وكذلك الحال بالنسبة للعودة إلى أرض الوطن الأم، وإن كان قلبي وعقلي -كما أسلفت- متعلقًا بالوطن، وما به من أهل وذكريات. ولكن هناك شيء يجذبني إلى البقاء؛ حيث أنا على الأقل في الوقت الحاضر.

مبرِّرات وأسباب هذا الموقف

لقد فكرت كثيرًا في هذه الحالة التي أنا فيها، وحاولت إيجاد المبررات لها:

- هل هي حالة عشق لزيمبابوي وأهلها الطيبين؟

- أم هي المشروعات والإنجازات التي حققتها وتحتاج بعض المتابعة ومزيد من الجهد؟

- أم هي حاجة الناس إلى خدماتي، وهو ما يظهر جليًّا عندما أقرر الغياب لفترة وجيزة للإجازة فأجد كثيرًا من المرضى يسألني: هل هي عودة نهائية؟ نرجو ألا تكون كذلك... وأرى في أعين البسطاء منهم صيغة الرجاء والتوسل بالبقاء، وعند عودتي من الإجازة أُقابل بكلمات الترحيب والعتاب لطول غيابي، مع وعد ألا يتكرر ذلك مني، رغم أن الإجازة قد لا تكون طويلة!!

مع نائب رئيس الجمهورية

ومما يؤكد ذلك أني في أحد رحلاتي إلى القاهرة قابلت على متن الطائرة التي تقلنا من بولاوايو إلى هراري؛ حيث نستقل طائرة أخرى إلى القاهرة، قابلت نائب رئيس الجمهورية، وهو رجل دمث الأخلاق، تربطنا به علاقات طيبة. فقال لي: إلى أين أنت ذاهب؟

فقلت له: إلى مصر.

فتبسم ضاحكًا، وقال لي: أرجو ألا تكون عودة نهائية، فهذا هو وطنك الثاني أو لعلّي أقول: وطنك الأول الآن. فمن فضلك لا تُطِلْ في الإجازة.

فشكرت له هذه الكلمات الطيبة، مع وعد بالعودة السريعة.

مع رئيس الجمهورية

وفى لقاء مع الرئيس الراحل "روبرت موجابي"، وكان قد حضر لافتتاح

مستشفى للأطفال عندنا، فلما قدمت له نفسي وعرف أني "دكتور عشماوي"، وكان قد سمع كثيرًا عما نقوم به من أعمال. فقال لي: نحن نُقدِّر جهودك ونُثَمِّنها. فقلت له مازحًا: سيادة الرئيس، لو حدث وتُوفيت هنا لا بد أن أُدفَن في ساحة الأبطال -وهي المكان الذي يُدْفَن فيه كل رموز الدولة وأبطالها-؛ فقال لي: بالتأكيد؛ فأنت من الأبطال القوميين. وضحك الرئيس وضحك الجميع.

لا عذر لك!

كان ذلك بالنسبة للخدمات الطبية التي أقوم بها، أما بالنسبة للخدمات الدعوية، فكان من المواقف التي دائمًا تؤثر فيّ أن الناس المتابعين لبرامجي في السيرة وغيرها لا يكونون سعداء في حالة غيابي عنهم، ويكونون دائمًا في لهفة؛ انتظارًا لعودتي. ويظهر ذلك جليًّا من الرسائل التي تُنْشَر على وسائل التواصل الاجتماعي، والتي يتناقلون فيها أولاً بأول أخباري من سفر وميعاد العودة المنتظرة. وعادةً بعد عودتي لا يحق لي الراحة لأكثر من أسبوع، ثم أعاود النشاط.

ومن طرائف الأمور أني في إحدى المرات كان لي صديق من المقربين وكان يُعِدّ لزفاف ابنته وكنت مشغولاً معه كثيرًا، وكان ذلك بعد عودتي مباشرة من الإجازة. فلما طلبت من المتابعين لبرامجي منحي أسبوعًا آخر للراحة.

فقال لي أحدهم -في عفوية وبساطة، وفي لهجة حادة تحمل صيغة الأمر-: لا نريد سماع كثير من الأعذار، الأحد القادم تكون موجودًا لتبدأ المحاضرات.

فضحك الجميع، وقال أحد الحاضرين لهذا الرجل البسيط: كيف تُحدِّث

الدكتور بهذه اللهجة؟ هو لا يعمل عندك. فقاطعته، وقلتُ له مازحًا: هو مُحِقّ فيما قال، بالفعل أنا أعمل عنده وهو رئيسي المباشر، ولا بد من الامتثال لأوامره.

فضحك الجميع، وهدَّأت من روعه وعانقته، وقلت له: تحت أمرك، بالتأكيد سنبدأ الأحد القادم؛ إن شاء الله.

الجمعية الطبية التي أسَّستها

أما بالنسبة للأنشطة الاجتماعية؛ فالجمعية الطبية التي أسَّستها، تعمل الآن في سلاسةٍ ويُسرٍ، لأننا كنا حريصين على أن يكون العمل بها مؤسسيًّا، لا يعتمد على أشخاص بعينهم، والآن أنا لا أحمل أيّ صفة رسمية ويتولى أمر الجمعية مجموعة من الزملاء المحليين برئاسة أحدهم. ولكن الأمر لا يخلو من الرجوع إليَّ للاستشارة والاستزادة وهكذا.

فخلاصة الأمر -أصدقائي وأحبائي- أني تركت الأمر كله بيد الله، يُيسر لي إقامتي حيث أكون أكثر نفعًا للناس.

ولو قُدِّر لي العودة إلى مصر؛ فسوف أحاول مساعدة من يحتاج إلى خدماتي؛ طبيةً كانت أو اجتماعيةً، أو ما إلى ذلك، وبدون أيّ مقابل؛ إن شاء الله -تبارك وتعالى-.

فما أفاض الله به علينا والحمد لله لا يُعدُّ ولا يُحْصَى. فأسأل الله -سبحانه- أن يُيسِّر لنا الخير أينما كان وحيثما كان.

خلاصة التجربة الإفريقية

حينما عُرض علينا السفر إلى إفريقيا، لم أكن أتوقع أو أحلم بأن أقوم بما قمت به من أعمال وإنجازات.

فلقد كان سفرنا في ذلك الوقت من قبيل المغامرة والذهاب إلى المجهول، في الوقت الذي كان يتطلع فيه الجميع إلى أمريكا وأوروبا أو دول الخليج، فلم تكن إفريقيا واحدة من الأمنيات أو الأهداف التي يسعى إليها الشباب.

وأذكر أني كنت أجد كثيرًا من اللوم والاستغراب من الأصدقاء والأقارب عن سبب اتخاذي لهذه الخطوة الغريبة؛ حتى إن أحدهم قال لي مازحًا: ما هي الجريمة التي ارتكبتَها حتى تقرِّر الحكومة المصرية إرسالك إلى هذا المجهول في إفريقيا؟

ولكن كل ذلك لم يُثَبِّط من عزيمتي أو من قراري بخوض التجربة الإفريقية، على العكس كنت أكثر حماسًا وتطلعًا للذهاب إلى هذا المجهول واستكشاف هذا العالم الجديد والذي لا نعرف عنه الكثير.

ماذا علمتني إفريقيا؟

في ختام هذه المذكرات -أحبائي- أردت أن أطرح الدروس التي استخلصتها من تجربتي الإفريقية، لعلها تكون درسًا مفيدًا لمن سيأتي من بعدي، ولمن سيقرأ هذه المذكرات.

وهاك بعض الدروس المستفادة من التجربة الإفريقية:

1- إذا عزمت فتوكل على الله، لا تتردد ولا تهتز طالما أنك درست الموضوع من كل جوانبه وقررته، ولا بد أن يكون عندك الثقة المطلقة في الله -سبحانه وتعالى-.

2 - إذا أردت أن تحلم فليكن حلمك كبيرًا، فلن يمنعك أحد من أن تحلم، ولكن -وهذا هو مربط الفرس- لابد أن تعمل وتَجِدَّ لتحقيق ما تحلم به وتحويله من حلم إلى حقيقة، لا أن تنام وتستكمل الأحلام نائمًا، فهذا لن يفيدك شيئًا.

واعلم أنه كلما كبر حلمك، زاد جهدك في العمل للوصول إلى ما تصبو إليه. ولعلي أذكر أني عندما كنت أفكّر وأجهّز لإنشاء الجمعية الطبية كنت لا أنام إلا قليلاً، وأثناء نومي المتقطع إذا تذكرت شيئًا لابد أن أفعله فأقوم بكتابته في الحين في ورقة كنت أحرص على وضعها مع القلم بجوار سريري؛ حتى لا أنسى ما فكرتُ فيه إذا أصبح الصباح. ثم أحاول استكمال نومي بعدها، وقد يتكرر هذا الأمر عدة مرات في نفس الليلة.

3 - من الطبيعي أن تجد في طريقك عقبات وصعوبات وأُناسًا يعملون جاهدين لإفشال كل نجاح من الممكن أن تحققه، ولا تتعجب إذا رأيتهم يبذلون أقصى جهد، وقد يلبسون الحق بالباطل لتحقيق أهدافهم. واعلم أنه كلما كثر هؤلاء الذين يحاولون إفشالك، اعلم أنك على الحق والطريق السليم.

فعليك دائمًا أن تحدِّد هدفك وما تصبو إليه، وتركز فيه، وتسعى إليه بشكل قوي ومباشر، ولا تدع تلك العقبات أو الصعوبات تمنعك أو تعطّل مسيرتك في الوصول إلى هدفك وتحقيقه.

4- أَخْلِصْ النية لله في كل عمل تقوم به، واحتسب كل ما تقوم به خالصًا لوجه الله، ولا تريد جزاءً ولا شكورًا، ولا تنتظر شكرًا أو إطراءً من الناس، واعلم أن الله -سبحانه- لو تقبَّل منك صنيعك وعملك، فلن يَعْدله أي شيء على وجه الأرض، وستنعم بالأجر والثواب في الدنيا والآخرة.

5 - انظر دائمًا إلى من هو أقل منك، واحمد الله على ما آتاك من نِعَم، وهذا لا يمنع من العمل والجد والاجتهاد للأفضل، وأن تكون دائمًا عندك قناعة بما أنعم الله به عليك؛ لأن هذا هو مفتاح السعادة وراحة البال.

6 - كن دائمًا في خدمة الناس، وأقصد هنا كل الناس من كل لون وعرق ودين، ومن كل الطبقات ما دمت تستطيع لذلك سبيلاً؛ والعون هنا لا بد أن يكون شموليًّا، بمعنى أن تُعطي من مالك، ومن وقتك، ومن علمك، ومن خبراتك، ومن كل ما قد يحتاج إليه الناس. وإذا أعطيت فأجزل العطاء. وكما أسلفت لا تنتظر شكرًا أو ثناءً من أحد.

7 - بعض الناس يتعمدون الإساءة والضرر بمن حولهم، بسبب وبدون سبب، فحاول أن تتجنبهم قدر الإمكان. وإن كان لأحدٍ منهم حاجة عندك، فلا تتردد في قضائها، حتى ولو أصابك منه أذًى. ولتكن كما قيل في الأثر: "افعل الخير في أهله وفي غير أهله؛ فإن كان في أهله فهو في أهله، وإن كان في غير أهله فأنت أهل له"؛ أو كما قيل.

8 - التواضع، ثم التواضع، ثم التواضع؛ فلا تغرَّنك نفسك بما يمدحك به الناس، وبما يُقال عنك، أو بما صنعت من إنجازات. ولا تجعل الغرور يتسلل إلى نفسك، فمن تواضع لله رفعه.

9 – اعلم أن القليل بالنسبة لك قد يكون كثيرًا بالنسبة للآخرين، وعليه فلا تستصغر الأمور، وأعطِ قَدْر استطاعتك، حتى ولو كان قليلاً.

10 – أَنْفِقْ من أطيب ما تحبُّ حتى تنال البر والبركة.

******

هذا أحبائي كل ما لدي من خبرتي المتواضعة في إفريقيا أضعه بين أيديكم.

وأختتم مذكراتي هذه: بأني أُشهد الله أني لا أدعي أيّ فضل فيما قمتُ به من أعمال وإنجازات، ولا أقول ذلك من قبيل التواضع أو إنكار الذات أو ما إلى ذلك من عبارات تحمل هذا المعنى. ولكني أقولها عن قناعةٍ تامةٍ، والله يعلم إنَّ هذا ما أحمله في طيات نفسي وأن الأمر كله لله؛ فهو صاحب المِنَّة والفضل من قبلُ ومن بعدُ.

ولكني أحمد الله وأسجد له شاكرًا أن أنعم عليَّ واستخدمني في إنجاز هذه الأعمال.

ونسأله –سبحانه– أن يتقبل منا هذه الأعمال بقبول حسن، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

د. حسن عشماوي

بولاوايو – زيمبابوي

11/ 6/ 2020م

ألبوم الذكريات

أولاً :إنجازات فى المجال الطبى

أثناء تقديم بحثى فى جراحة مجرى البول Table 1

البحث الجديد فى مؤتمر دولى Table 2

مع بروفسورجوديون باربابجلى أحد أعلام جراحة مجرى البول فى العالم Table 3

مع كوكبة من أهم جراحى المسالك فى العالم Table 4

هدية شكر من أحد المرضى بعد إجراء جراحة ناجحةTable 5

ثانياً : إنجازات فى المجال الخدمى

مع دكتور سرورو ودكتور مالنجو فى أول معسكر للختان Table 6

مداعبة الأطفال قبل إجراء الجراحة Table 7

Table 8 في إنتظار الدخول فى معسكر ختان فى أحد المراكز المخصصة لذلك

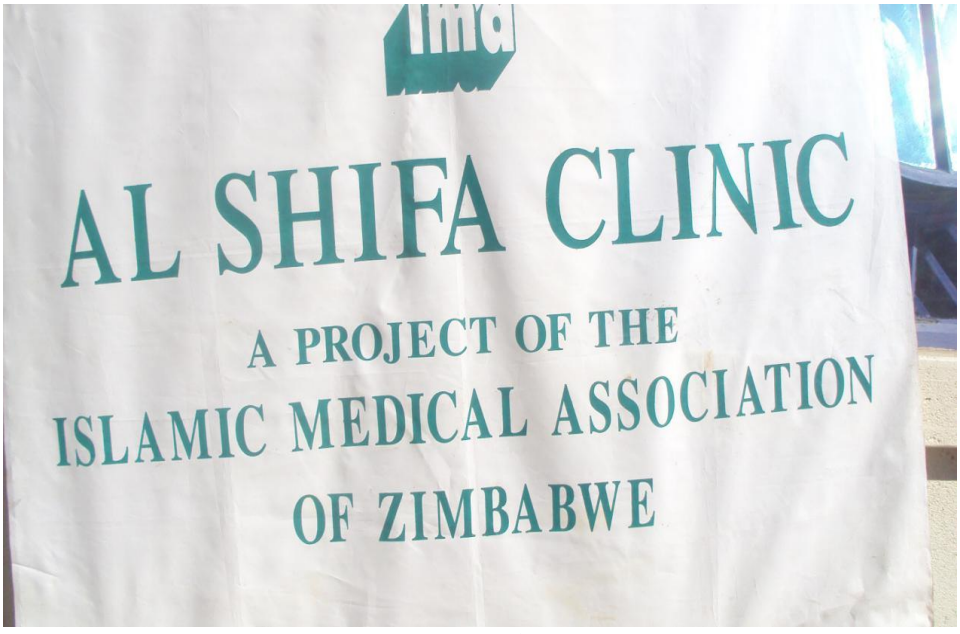

Table 9 تحت راية جمعيتنا

الجميع يرتدى الجاكت وعليه شعارنا (رحمة للعالمين) Table 10

أثناء إجراء عملية الختان Table 11

Table 12 توزيع حلويات على الأطفال بعد االجراحة

Table 13 دكتورة أمل عادل أحمد ساركيس أثناد إجراء عملية المياه البيضاء فى أول معسكر للعيون

مع دكتورة أمل ومتابعة للمعسكرTable 14

مع دكتور أيمن عامر ودكتور سرورو فى أول معسكر عيون Table 15

الجميع يتعاون فى تقديم الأكل والمشروبات للمرضى وزويهمTable 16

تقديم الأكل بعد الجراحة Table 17

متابعة أحوال المرضى Table 18

بعض جمعيات الروتارى فى مساعدة المعسكر مع أعضاء الجمعية Table 19

تعاون الشباب فى مساعدة المرضى Table 20

الفرحة على وجوه الجميع بعد إجراء الجراحة Table 21

مع فريق العمل والمرضى فى أحد القوافل الطبية Table 22

الحب المتبادل مع المرضى Table 23

فى حفل وضع حجر أساس مستشفى الشفا فى هاتكليف (هرارى)Table 24

القاء كلمة فى الإفتتاحTable 25

حفر لوضع حجر الأساسTable 26

ثالثاً : إنجازات فى المجال الدعوى

فى درس من دروس السيرة مع مترجم للغة المحلية Table 27

صورة جماعية بعد إنتهاء سلسلة دروس السيرة فى مسجد إمبوبوما خادج المدينةTable 28

أثناء إلقاء حديث الجمعة فى المسجد الكبير Table 29

رابعاً : فى حب مصر

مع مانيول جوزي فى زيارة الأهلى للعب فى بولاوايو Table 30

مع المحترم الكابتن حسام البدرى Table 31

مع العملاق عصام الحضرى Table 32

فى متابعة للتدريبات مع المستشار هشام ناجى (سفير حالياً) من السفارة المصرية Table 33

الجمهور المصرى وتشجيع الأهلى Table 34

أعلام مصر فى كل مكان Table 35

فى وداع الفريق فى المطار36 Table

الجالية المصرية تحتفل بفريق الشرقية للهوكى بطل أفريقيا 37 Table

Table 38 الشرقية بطل أفريقيا

Table 39 الفرحة على الوحوه

الشباب يحتفلون بطريقتهم الخاصة Table 40

درع الشرقية مقدم من الأستاذ عبد الفتاح ناجى رئيس النادى للجالية المصرية Table 41

ترحيب الجالية المصرية بسعادة السفير محمد فريد منيب وأعضاء هيئة المعارض والعارضين Table 42

درع هيئة المعارض للجالية المصرية Table 43

خامساً : جمال أفريقيا

هكذا تبدو شوارع المدينة فى وقت الجاكاراندا Table 44

شلالات فيكتوريا من عجائب الدنيا Table 45

الشلالات وقوس قزح Table 46

لحظات راحة وتأمل Table 47

البحث عن شئ ما !!! Table 48

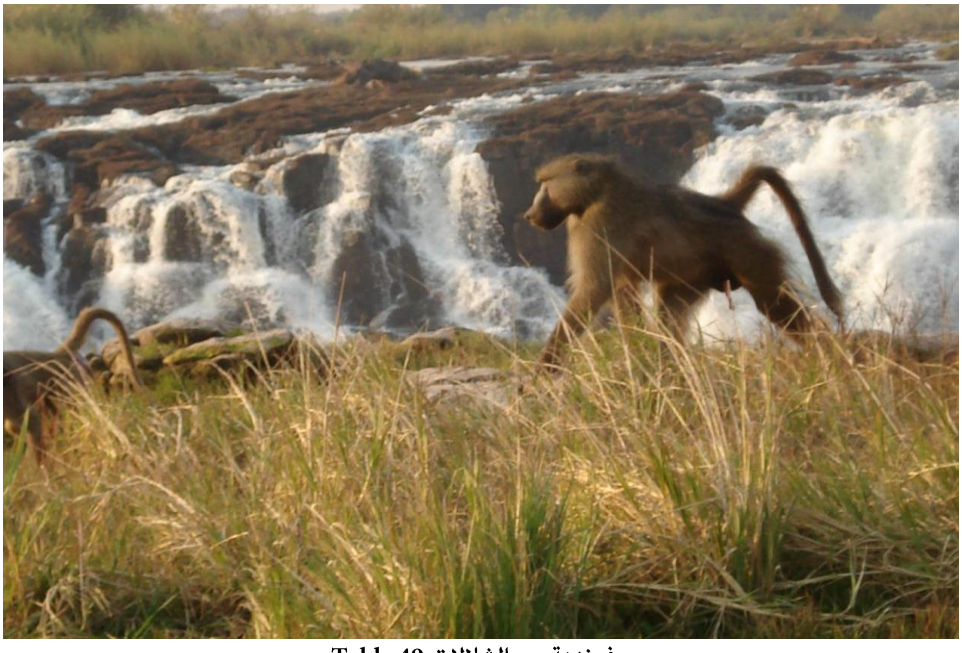

فى نزهة مع الشلالات Table 49

Table 50توصيلة بالمجان

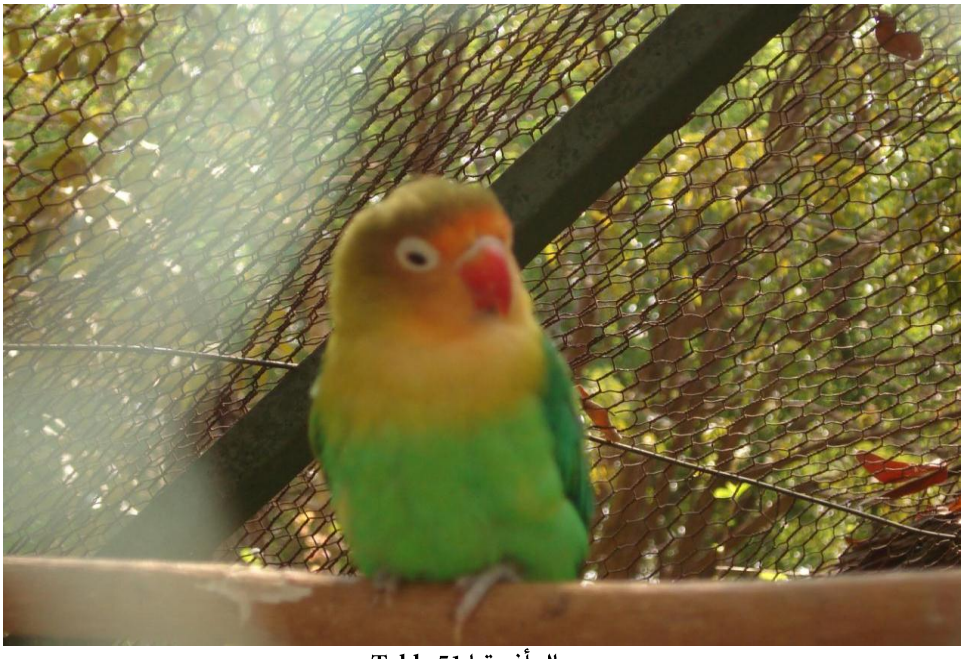

Table 51 جمال أفريقيا

سبحان من أبدع Table 52

Table 53 التماسيح نائمة على شاطئ النهر

Table 54 حان وقت الأكل

الفن الشعبى الأفريقى Table 55

وصلة مع الرقص الأفريقى Table 56

الفهرس

إهداء 3
مقدمة سعادة السفير رخا حسن 5
مقدمة المؤلف 9
من هنا كانت البداية 11
هكذا عَلَّمَني أبي 12
هكذا علَّمَتْنِي أُمِّي 15
وليس لمن رامَ الكواكبَ مضجعُ 18
بداية الحياة العملية 21
طبيبٌ في الأرياف 25
نيابة جراحة المسالك البولية 33
هنا إفريقيا 35
نبذة عن زيمبابوي 39
بداية الحياة والعمل في زيمبابوي 43
الحصاد 50
أولاً: إنجازات في المجال الطبي 51
ثانيًا: المجال الخدمي (خدمات اجتماعية) 56
مشروعات الجمعية 63

ثانيًا: إنجازات المدى المتوسط 79
ما تحقَّق على أرض الواقع 81
ثالثًا: مشروعات المدى البعيد 87
مستقبل الجمعية والتحديات التي تواجهها 91
ثالثًا: المجال الدعوى 93
محاضرات سيرة الصحابة 105
خير الأنام وصحبه الكرام 111
رابعًا: في حبّ مصر 115
إلى أين المُنتهى؟ 128
خلاصة التجربة الإفريقية 133
ألبوم الذكريات 137
أولاً :إنجازات فى المجال الطبى 139
ثانياً : إنجازات فى المجال الخدمى 142
ثالثاً : إنجازات فى المجال الدعوى 153
رابعاً : فى حب مصر 155
خامساً : جمال أفريقيا 162
الفهرس 169

للاتصال بالمؤلف

1 – البريد الإلكتروني للمؤلف hashmawy57@hotmail.com

2 – موقع المؤلف على شبكة الإنترنت www.Hassanashmawy.Com

3 – الصفحة الرسمية للمؤلف على الفيسبوك mercytomankind2013

4 - القناة الرسمية للمؤلف على اليوتيوب Dr Hassan Ashmawy

5 – واتساب ٠٩٢٢ ٢٤٠ ٧١ ٢٦٣+